الجواهر
فى عقوبة أهل الكبائر

للشيخ العلامة زين الدين المليبارى

الطبعة الرابعة

١٩٨٦ - ١٤٠٦

الناشر

مكتبة القاهرة

لصاحبها : على يوسف سليمان

شارع الصنادقية . ميدان الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين قيوم السموات والأرضين خالق الجن والإنس أجمعين ، والصلاة والسلام على محمد أشرف المرسلين ، ورسول رب العالمين ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأهل بيته أجمعين .

(أما بعد) فهذا كتاب يسمى : (الجواهر فى عقوبة أهل الكبائر) جملته من كلام النبوة الشريفة ، وعلى صاحبها أفضل الصلاة والسلام محذوفة الأسانيد وهو كتاب جليل مشتمل على أحد عشر باباً :

الباب الأول : فى عقوبة تارك الصلاة .

الباب الثانى : فى عقوبة الوالدين .

الباب الثالث : فى عقوبة شارب الخمر .

الباب الرابع : فى عقوبة الزانى .

الباب الخامس : فى عقوبة اللواط .

الباب السادس : فى عقوبة آكل الربا .

الباب السابع : فى عقوبة النائحة وفى ثواب الصبر على المصيبة .

الباب الثامن : فى عقوبة مانع الزكاة .

الباب التاسع : فى عقوبة قاتل النفس بغير حق وقاطع الرحم .

الباب العاشر : فى عقوبة تركَ المرأة حق زوجهـا وفى حق زوجها عليها .

الباب الحادى عشر : فى أهوال يوم القيامة ، ونسأل الله العفـو والغفران وأن يرزقنا الجنـة بمنه وكرمه إنه جواد كريم غفور رحيم .

الباب الأول

عقوبة تارك الصلاة

قال الله تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال الله تعالى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) وقال تعالى : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) فويل للمصلين الذين هم فى صلاتهم ساهون) وقال ابن عباس رضى الله عنهما ويل : هو واد فى جهنم تستغيث جهنم من حره كل يوم سبع مرات وهو مسكن من يؤخر الصلاة عن وقتها وعن رسول الله ﷺ « مابين المسلم والمنافق إلا ترك الصلاة ، فإذا تركها جاحداً لوجوبها كان كافراً » وروى عن رسول الله ﷺ : « من تهاون بالصلاة عاقبه الله بخمسة عشر عقوبة ، ستة منها فى الدنيا ، وثلاثة عند الموت ، وثلاثة فى قبره وثلاثة عند لقاء ربه قيل يارسول الله . فما التى تصيبه فى الدنيا ؟ قال . أولها : يرفع الله البركة من رزقه . والثانية : يرفع الله البركة من عمره ، والثالثة ، يمحو الله سيمة الصالحين من وجهه ، والرابعة : لاحظ له فى الإسلام والخامسة كل عمل يعمله من أعمال البر لا يؤجر عليه ، والسادسة لا يرفع له دعاء إلى السماء قيل يارسول الله وما التى تصيبه عند الموت ؟ قال : يموت ذليلا يموت جائعاً ، لا يموت عطشانا ولو سقى بأنهار الدنيا لم تروه : قيل يارسول الله وما التى تصيبه فى قبره ؟ قال : أولها يضيق الله عليه قبره ويظلم عليه لحده ويوكل به ملسكا يعذبه إلى يوم

القيامة . وقيل : يسلط الله تعالى عليه فى قبره ثعبانا ضخما اسمه الشجاع الأقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر منها مسيرة يوم ومعه عمودان من حديد فيكلم الميت ويقول له : أنا الشجاع الأقرع وصوته مثل الرعد القاصف ويقول له أمرنى ربى أن أضربك على تضييع الظهر من صلاة الظهر إلى صلاة العصر وأضربك على تضييع صلاة العصر من صلاة العصر إلى صلاة المغرب . وأضربك على تضييع صلاة المغرب من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وأضربك على تضييع صلاة العشاء من صلاة العشاء إلى صلاة الصبح ، وكلما ضربه ضربة يغور فى الأرض سبعين ذراعاً فيدخل أظافره فى الأرض فيخرجه ثم يضربه فلا يبرح تحت الضرب إلى يوم القيـــامة نعوذ بالله من ذلك وأما التى عند لقاء ربه إذا انشقت السماء يأتيه ملك من ملائكة العذاب وبيده سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فيجعلها فى عنقه ثم يدخلها فى جوفه من فمـــه ويخرجها من دبره ، ثم يجره على وجهه ومرة على ظهره وهو ينادى عليه ، هذا جزاء من ضيع فرائض الله تعالى ، ثم ينطلق به إلى النار قال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما لو أن حلقة من تلك السلسلة وقعت على الأرض لأحرقتها لوقتها ، والثانية لا ينظر الله إليه . والثالثة لا يزكيه وله عذاب أليم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« صلاتك إن وفيت ربى لك وإن نقصت عذبت » ، وعن رسول الله ﷺ أنه قال « من صلى صلاة الصبح جماعة أربعين يوما لم تفته ركعة واحدة كتب الله له براءة من النار وبراءة من النفاق » وقال رسول الله ﷺ :

« من صلى الصبح وجلس يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس بنى الله تعالى له فى جنة الفردوس سبعين قصراً من ذهب وفضة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى عليه من درنه شىء ؟ قالوا : لا يارسول الله قال : ذلك مثل الصلاة تغسل الذنوب » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حافظ على هؤلاء الصلوات كانت له نوراً يوم القيامة » .

وعن أنس رضى الله عنه قال : كانت روح النبى صلى الله عليه وسلم فى صدره الشريف وهو يقول « أوصيكم بالصلاة وما ملكت أيمانكم » فما برح يوصى بها حتى انقطع كلامه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا ترك العبد فرضا واحد متعمدا كتب اسمه على باب النار فلان لابد من دخول النار » وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا : اللهم لا تدع فينا شقيا ولا محروما » ثم قال أتدرون من الشقى المحروم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال الشقى المحروم تارك الصلاة لأنه لاحظ له فى الإسلام ولا يقبل منه توحيد ولا أمانة ولا صيام ولا شهادة وقد تبرأ الله منه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تارك الصلاة فى حال صحته لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم إلا أن يتوب » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من أمتى يغضب الله عليهم يوم القيامة ويأمر بهم إلى النار وقد سقط لحم وجوههم . فقيل :

يارسول الله من هم ؟ قال شيخ زان ، وإمام ضال ، ومدمن خمر وعاق والديه والماشي بالغيبة والنميمة وشاهد الزور ومانع الزكاة ، والظالم وتارك الصلاة إلا أن يتوب لأن تارك الصلاة يضاعف عذابه فيأتى يوم القيامة وقد غلت يداه إلى عنقه والملائكة يضربونه وتقول له الجنة : لست منى ولا أنا منك وتقول له النار . أنت منى ومن أهلى أدن منى لأعذبك عذاباً شديدا ثم تفتح له جهنم فيدخل بابها كالسهم المسرع فيهوى على أم رأسه إلى قارون وهامان فى الدرك الأسفل من النار » .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « رأيت رجلا من أمتى جاءه الموت وهو بار بوالديه فرد عنه بره سكرات الموت . ورأيت رجلا من أمتى احتوشته الزبانية فجاءه ذكره وتسبيحه فخلصاه منهم ، ورأيت رجلا من أمتى قد سلط الله عليه عذابه فجاءه الوضوء فأنقذه منه ، ورأيت رجلاً من أمتى يلهث عطشا لا يقدر أن يصل إلى الماء من الزحام فجاءه صيامه فسقاه ، ورأيت رجلا من أمتى والنبيون جلوس حلقا حلقا وكلما جاء إلى حلقة طردوه فجاء غسله من الجنابة لأجل الصلاة فأجلسه إلى جانبهم ، ورأيت رجلا من أمتى وقدامه ظلمة ومن تحته ظلمة فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه منها وأدخلاه فى النور ، ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت يامعشر المؤمنين كلموه فإنه كان يصل الرحم فكلموه وصافحوه وسلموا عليه ، ورأيت رجلا من أمتى يتلقى لهيب النار وحرها بيديه عن وجهه فجاءته صدقته فصارت سترا على وجهه

وظلا على رأسه وحجابا من النار » .

وروى عنه ﷺ أنه قال : إن فى جهنم وادياً يقال له لملم فيه حيات وعقارب طول كل حية مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها فى جلده سبعين سنة ثم يتهرى لحمه ويقع عظامه » .

قال ﷺ : « لا تحل الزكاة لتارك الصلاة ولا تساكنوه ولا تجالسوه فإن اللعنة تنزل عليه » وقال ﷺ : « أول مايسود يوم القيامة وجه تارك الصلاة فتعوذ بالله من النار ومن غضب الجبار » وقال الرافعى فى شرح المسند : إن الصبح صلاة آدم والظهر كانت صلاة داود ، والعصر صلاة سليمان ، والمغرب كانت صلاة يعقوب والعشاء كانت لصلاة يونس ، وأورد فى ذلك خبرا ـ فجمع الله سبحانه وتعالى جميع ذلك لنبينا محمد ﷺ ولأمته تعظيما له ولكثرة الأجور له ولأمته ، فمن أتى بهن كاملة لا يخل بشىء من ركوعهن ولا سجودهن مطلقا كان فى حفظ الله وأمانه وأدخله جنته مع السابقين برحمته سبحانه وتعالى ، وقال ﷺ لأبى هريرة « يا أبا هريرة آأمر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب » فعلم من أن المواظبة على الصلاة مجلبة للرزق . وقالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه ، فإذا حضرت الصلاة قام كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه لشدة اعتنائه بالصلاة فيا أيها الطامع فى ثواب الجنان الخاطب من ربه الحور الحسان حافظ على صلواتك واحفها بالنوافل تنل فى غد أعلى المراتب والمنازل فقد قال صلى الله عليه وسلم « ما من

مسلم يسجد لله تعالى سجدة إلا رفعه الله تعالى بها درجة وحط عنه بها خطيئة » .

وروى ابن حبان فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمر مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن العبد إذا قام يصلى أتى بذنوبه موضوعة على رأسه أو على عاتقه فكلما ركع وسجد تساقطت أى بحيث لا يبقى منها شيء إن شاء الله تعالى والأحاديث فى فضل الصلاة أكثر من أن تحصى ، فنها أيضا ماورد عن على بن أبي طالب رضى الله عنه أنه قال « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ملأ من المهاجرين إذ أقبل عليه نفر من اليهود . فقالوا يامحمد جئنا نسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبى مرسل أو ملك مقرب ، فقال صلى الله عليه وسلم سلوا فقالوا يامحمد . أخبرنا عن هذه الصلوات التى فرضها الله سبحانه وتعالى على أمتك فى الليل والنهار خمس صلوات فى خمس مواقيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الظهر فإن لله تعالى فى سماء الدنيا حلقة تزول بها الشمس فإذا زالت سبح كل ملك فأمر الله تعالى بالصلاة فى ذلك الوقت الذى يفتح فيه أبواب السماء فلا تغلق حتى يصلى الظهر ويستجاب فيه الدعاء ، وأما العصر فهى الساعة التى وسوس الشيطان فيها لآدم عليه السلام حين أكل من الشجرة فأمرنى الله تعالى وأمتى بالصلاة فى تلك الساعة . وأما المغرب فإنها الساعة التى تاب الله فيها على آدم حين تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، فأمرنى الله سبحانه وتعالى وأمتى بالصلاة تلك الساعة لما أذنبوا وأما العشاء فإنها صلاة المرسلين قبلى ، وأما الصبح فإن الشمس

إذا تطلع ومعها قرن شيطان فيسجد لها كل كافر من دون الله عز وجل فأمرنى الله وأمتى بركعتين قبل أن يسجد الكافر لغير الله ، فقالوا : صدقت يا محمد نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وما أحسن قول بعض الصالحين إذا قمت إلى الصلاة فأعلم أنك بين يدى الله تعالى مقبل عليك فأقبل على من هو يقبل عليك وهو قريب منك وناظر إليك . فإذا ركعت تؤمل أن ترفع . وإذا رفعت فلا تؤمل أن تسجد ومثل الجنة عن يمينك والنار عن شمالك والصراط تحت قدميك فحينئذ تكون مصلياً .

وقال الصالحون : قيل إذا وضع الميت فى قبره يلقى أربع نيران فتجىء الصلاة تطفىء واحدة ويجىء الصوم فيطفىء واحدة وتجىء الصدقة فتطفىء واحدة ويجىء الصبر فيطفىء واحدة .

وروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : « إن العبد إذا قام إلى الصلاة وقال الله أكبر خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . وإذا قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كتب الله له بكل شعرة على بدنه حسنة . وإذا قرأ الفاتحة فكأنما حج واعتمر . وإذا ركع فكأنما تصدق بوزنه ذهباً . وإذا قال سبحان الله العظيم فكأنما قرأ كتاب نزل من السماء وإذا قال سمع الله لمن حمده نظر إليه بالرحمة فإذا سجد أعطاه الله بعدد الإنس والجن حسنات : وإذا قال سبحان ربى الأعلى فكأنما أعتق بكل سورة وآية رقبة . وإذا تشهد أعطاه الله ثواب الصابرين ، وإذا سلم فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء .

قيل . كان الحسن إذا توضأ تغير لونه وارتعدت فرائصه فقيل له فى ذلك ، حق لمن وقف بين يدى ربه أن يصفر لونه وترتعد فرائصه . وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه إذا حضر وقت الصلاة تغير لونه فقيل له مالك يا أمير المؤمنين قال : جاءت وقت أمانة فرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا فلا أدرى هل أحسن أداءها أم لا ؟

وذكر أن التحيات اسم طائر فى الجنة على شجـرة يقال لها الطيبات بجانب نهر يقال له الصلوات . فإذا قال العبد التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله نزل ذلك الطير عن تلك الشجـرة فانغمس فى ذلك النهر ثم يطلع وينفض ريشه على جانب ذلك النهر فكل قطرة وقعت منه خلق الله منها ملك يستغفر للمصلى إلى يوم القيامة .

ويقال رفع اليدين فى الصلاة إشارة إلى رفع الحجب بين العبد وبين الله عز وجل . وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن إذا صلى المؤمن صلاة وتقبلها الله تعالى صورت فى الملكوت صورة تركع وتسجد إلى يوم القيامة ويكون ثواب ذلك لمن يصلى .

وروى أن الله تعالى خلق ملـكا تحت العرش له أربعة أوجه بين الوجه والوجه ألف عام . الأول : ينظر إلى الجنة ويقول طوبى لمن دخلك ، والثانى ينظر إلى النار ويقول ويل لمن دخلك . والثالث : ينظر به إلى العرش ويقول سبحانك ربى ما أعظمك . والرابع يخر به ساجدا ويقول

سبحان ربى الأعلى وله خمس حركات فى اليوم والليلة عند أوقات الصلاة ، فيقال له : أسكن . فيقول كيف أسكن وقد جاء وقت فريضتك على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول له أسكن ، فقد غفرت لمن توضأ وصلى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقيل يقول الله تعالى يوم القيامة يامحمد أنا وضعت على عبادى الفرائض ، وأنت وضعت النوافل فالضمان على وعليك فمنك الشفاعة ومنا الرحمة ، وفى الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ ، « ما من مسلم قرب وضوئه وتمضمض واستنشق وغسل وجهه كما أمر الله تعالى وغسل يديه إلى مرفقيه ومسح برأسه وغسل قدميه إلى كفيه ثم صلى لحمد الله تعالى انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه فتأملوا يا إخواننا هذه الإشارات العجيبة والفوائد الغريبة وعليكم بالصلوات الخمس فى أوقاتها تغنموا هذه الفوائد وتفوزوا فى الدارين بالخير الكثير والإسعاد الزائد وفى الحديث أن الله تعالى يعطى عبده المؤمن بالحسنة الواحدة ألف ألف حسنة فلا تشك يا أخى فيما ورد من الفضائل ولا تدخل عندك وهما فى ذلك فتهلك مع الهالكين وتحشر مع الخاسرين ولا تنال شفاعة المرسلين لجد واجتهد واتل قول الله تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تلك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما) لحين قال الله تعالى أجراً عظيما فمن يعرف قدر هذا الأجر العظيم الذى ذكره الله تعالى ويعطيه لعباده فتأمل يا أخى شديداً وانظر بعين الفكر والنظر واثبت العقيدة فى القلب بذلك ففى الحديث الشريف الوارد أيضا إن أدنى أهل الجنة من ينظر إلى قصوره وأزواجه وسرره ونعيمه

مسيرة ألف عام وأن أكرمهم على الله تعالى من ينظر لوجه الله الكريم كل يوم مرتين بكرة وعشياً ثم قرأ رسول الله ﷺ (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فيا إخوانى لا تنكروا قدرة الله تعالى فى ذلك وفيما هو أعظم من ذلك فقدرته فى الحقيقة صالحة لكل شىء فنسأله من فضله العظيم ومن كرمه العميم أن لا يحرمنا من فضله وأن يمتعنا بالنظر إلى وجهه بدار كرامته ومستقر رحمته ، ولتعلم يا أخى أن مما ذكر من بعض الفوائد فى الوضوء أن الملائكة لما قالت فى القدم حين أراد الله تعالى خلق الآدميين ياربنا أتجعل فيها من يفسد فيها أى فى الأرض ، فغضب الله عليهم فأهلك بعضا وتاب على بعض فمن جملة ما تاب تاب على فتانان القبر وهما منكر ونكير ، فأمرهما بالوضوء من عين تحت العرش . فصلى بهما جبريل ركعتين ، فهذا أصل الوضوء وأصل صلاة الجماعة .

وقال الإمام عثمان بن عفان رضى الله عنه سمعت النبى ﷺ يقول : « لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر » رواه البزار بإسناد حسن ، وقال النبى ﷺ « ومامن مسلم يمضمض فاه إلا غفر الله له ماقدمت يداه ذلك اليوم ولا يمسح رأسه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه الطبرانى .

وقال ﷺ إذا توضأ المسلم خرجت ذنوبه من سمعه وبصره ويديه ورجليه إن قعد قعد مغفورا له » رواه الإمام أحمد والطبرانى .

وقال العلماء تسن المحافظة على الوضوء لما ورد فى الخبر يقول الله تعالى « من أحدث ولم يتوضأ فقد جفانى ، ومن أحدث وتوضأ ولم يصل فقد

جفانى ، ومن أحدث وتوضأ وصلى ولم يدعنى فقد جفانى ومن أحدث وتوضأ وصلى ودعانى ولم أستجب له فقد جفيته ولست بجاف » .

ومما يحكى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل رسولا إلى الشام فمر على دير فوجد فيه راهباً فطرق الباب ففتح له الباب بعد ساعة فلما أبطأ عليه سأله لم أبطأت على بفتح الباب ؟ فقال له أعلم أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام بقوله (إذا خفت من سلطان فتوضأ ومر أهلك به فإن من توضأ كان فى أمان مما يخاف) وإنى لم أفتح لك حتى توضأنا جميعاً .

وقال فى طبقات السبكى قال الله تعالى (ياموسى توضأ فإن أصابك شىء وأنت على غير وضوء فلا تلومن إلا نفسك) ، وقال ﷺ : (يا أنس إن استطعت أن تكون أبداً على وضوء فافعل فإن ملك الموت إذا قبض روح عبد وهو على وضوء كتب له شهادة » .

روى أنه كان فى زمن عيسى عليه السلام زوجة صالحة فجعلت العجين فى التنور وأحرمت بالصلاة فجاءها إبليس اللعين فى صورة امرأة وقال لها : يا هذه أن العجين قد اخترق . قال : فلم تلتفت لقوله ولم تكترث بذلك فلما رآها لم تقطع الصلاة أخذ ولدها وأدخله فى التنور فلم تلتفت إليه أيضا ولم تقطع الصلاة ، فدخل زوجها فوجد الولد فى التنور يلعب بالجمر وقد جعل الله الجمر عقيقا أحمر قال : فبلغ ذلك السر عيسى عليه السلام فدعاها فلما حضرت إليه سألها عن عملها الذى استحقت عليه هذا السر

العظيم قالت ياروح الله عملي أني ماأحدث إلا توضأت ولا طلب أحد مني حاجة إلا قضيتها وإني أحتمل الأذى من الأحياء كما تحمله منهم .

وورد أنه جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم على سرير من ذهب قوائمه من فضة منضد بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد مفروش بالسندس والاستبراق واستقر على الأرض ببطحاء مكة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وأقعده معه على السرير ولجبريل أربعة أجنحة جناح من لؤلؤ وجناح من ياقوت وجناح من زبرجد وجناح من نور رب العالمين بين كل جناحين خمسمائة عام له ذؤابتان واحدة على لون الشمس والأخرى على لون القمر منضدتان بالجواهر واليواقيت محشوتان بالمسك الأذفر والكافور ومعه ألف ملك فضرب بجناحه الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل وغسل أعضاءه ثلاثاً ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله بعثت بالحق نبياً يا محمد قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر أي من ذنوب أمتك ويغفر لمن يصنع مثل صنيعك من ذنوبه حديثها وقديمها وسرها وعلانيتها وعمدها وخطئها وحرم لحمه ودمه على النار فعلم بهذا أن الصلوات فضلها عظيم وهي نور تنور وجه صاحبها :

ذنوبي كبار ما أطيق لها حملا ... ولا علم لي أن كان يغفرها أم لا
وأملي على الحفاظ كل عظيمة ... فياويح مثلي من قبائح ما يملي
وزادي قليل ليس لي بمبلغ ... وشرخ شبابي في البطالة قد ولى

ونفسى إلى ما ضرها كر ميلها — وكان بها التقوى وترك الهوى أولا
أعاتبها سراً وجهراً لترعــوى — فتقسم أن لا تطاوعنى أصــلا
فمــالى لا أبكى على سوء حالتى — ولست أرى لى فى مخالفتى مثــلا
فيانفس جسـدى فالمنية قد دنت — وعما قليـــل يصبح الجسم مسجلا
فمن فانه خير الحياة فمن له — بأعمــاله الحسنى إذا جسمه يبلا

قال بعضهم الجوعان يشبع والظمآن يروى وعباد الله الصالحون لا يشبعون من الصلاة ، والصلاة تريح القلب وتزيل الهموم والغموم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم يابلال أقم الصلاة وأرحنا بها وذكر النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة فقال من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تـكن له نوراً ولا نجاة ولا هدى وكان يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون وأبى بن خلف رواه الإمام أحمد قال العلماء رحمهم الله تعالى وإنما خص النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء الأربعة بالذكر دون غيرهم لأنهم رءوس الكفر . فاعلم أنه من ترك الصلاة لتجارته فهو مع أبى بن خلف ومن تركها للملكة فهو مع فرعون ومن تركها لماله فهو مع قارون ومن شغله عنها حب الرياسة فهو مع هامان. وقال أبو الليث السمرقندى جاء رجل فى الزمن الأول لإبليس لما اجتمع به فقال له أحب أن أكون مثلك فقال له إن أردت أن تـكون مثلى فتطير فى الهوى وتجرى فى أعضاء بنى آدم مجرى الدم فى اللحم فاترك الصلاة ولا تحلف بالله صادقاً أبداً ومضى فعلم بهذا أن تارك الصلاة أخو الشيطان وجليسه وصديقه وكذلك من يحلف بالله كاذباً فنعوذ بالله من ذلك . وفى الحديث الوارد عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم أنه قال : تقول الملائكة لتارك صلاة الفجر يا فاجر . ولتارك صلاة الظهر يا خاسر . ولتارك صلاة العصر يا عاصى . ولتارك صلاة المغرب يا كافر . ولتارك صلاة العشاء يا مضيع ضيعك الله .

ويحكى أن عيسى عليه السلام . مر على قرية كثيرة الأنهار والأشجار فأكرمه أهلها . ثم مر عليها ثانياً فوجدها فقراً . فتعجب من ذلك فأوحى الله تعالى إليه إنه قد سار على تلك القرية رجل تارك الصلاة فغسل وجهه فى عينها فنشفت أعينها بقلة المياه ويبست أشجارها فخربت القرية يا عيسى لما كان تارك الصلاة سبباً لهدم الدين كان سبباً لخراب الدنيا . ويحكى أن بعض الأكابر ركب البحر فرأى السمك يأكل بعضه بعضاً . فتوهم أن القحط وقع فى البحر فهتف به هاتف يقول له : يا هذا إنه قد شرب من البحر رجل تارك الصلاة فلما علم ملوحة الماء قذفه من فيه فى البحر فمن ذلك وقع القحط والغلا فى البحر . وذلك من نجاسة فمه . وأنزل الله تعالى فى كتبه المنزلة يقول : تارك الصلاة ملعون وجاره ملعون إن رضى به . ولولا أنه حكم عدل لقلت . كل من يخرج من ظهره ملعون إلى يوم القيامة . وفى الحديث أن جبريل وميكائيل عليهما السلام قالا . قال الله تعالى من ترك الصلاة فهو ملعون فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . وفى الحديث أيضاً من ترك الصلاة لقى الله وهو عليه غضبان .

ومما يحكى أن رجلا حلف بالطلاق الثلاث أنه لا يدخل على زوجته إلا فى اليوم المشئوم فطاف وسأل جماعة من العلماء عن ذلك فأجابوه كلهم أن الأيام كلها مباركة وأنك حانث فى زوجتك ثم سأل الشيخ عبد العزيز الدرينى رضى الله عنه

على ذلك فقال له الشيخ . هل صليت اليوم الصبح لأن عينيك بهما قذر ، فقال لم أصل اليوم الصبح فقال له الشيخ : أدخل على زوجتك فاليوم المشئوم الذى لم تصل فيه صلاة الصبح ، فالصلاة يا إخواننا نور .

وروى الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم قال : من صلى الصلوات الخمس فى جماعة جاز على الصراط كالبرق اللامع فى أول زمرة السابقين ، وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ، واعلم أن الخير كله فى المواظبة على الصلاة والشر كله فى ابتداع ، ومما يحقق ماقلناه ، ماورد عن فضل الصلاة وفضل المواظبة عليها . قال الله تعالى فى حقه صلى الله عليه وسلم : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وقد أنكر جماعة ماورد من الأحاديث والأخبار الواردة فى الصلوات والفضائل من حيث مافيها من كثرة الأجور والثواب العظيم لخابوا وخسروا ، فالعبرة من هؤلاء من أى وجه أنكروها أما علموا أن قدرة الله صالحة لما هو أعظم من ذلك أضاقت رحمة الله الواسعة ، أم تصرمت إمداداته الجامعة ، ولكن من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشداً ومن يضلل الله فلا هادى له ونذرهم فى طغيانهم يعمهون .

وقد حكى أن رجلا راود امرأة عن نفسها فأخبرت زوجها بذلك فقال لها قولى له : صل خلف زوجى أربعين صباحا متواليات وأنا أمكنك من نفسى ، فقالت له فصلى خلفه أربعين صباحا ، ثم جاءته ودعته لنفسها فأبى وقال إنى تبت إلى الله تعالى عز وجل . فأخبرت زوجها بذلك . فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وإن جاء هذا الرجل لما صلى ترك المعاصى ، واعلم أن الصلاة تمنع من المعاصى وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، وذكر الشبلى فى تفسير هذه الآية ماورد عن

أنس رضى الله عنه ، أن رجلا كان يصلى الخمس مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئاً من الفواحش إلا ارتكبه ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقال إن صلاته تنهاه يوما ، فلم يلبث أن تاب وحسن حاله فقال . ألم أقل لكم إن صلاته تنهاه يوماً ، وقد قال صلى الله عليه وسلم أيضا . لا صلاة لمن لم يطع الصلاة ومن انتهى عن الفحشاء والمنكر فقد أطاع الصلاة .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه   هـذا قبيـح فى الفعال شنيـع
لو كان حبك صادقاً لأطعته   إن المحب لمن يحب مطيـع

ومن كتاب الغائب والترغيب عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : إنما تقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصراً على معصيتى وقطع نهاره فى ذكرى ورحم الأرملة والمسكين وابن السبيل والمصاب ذلك نوره كنور الشمس أكلأه وستحفظه ملائكتى اجعل له فى الظلمة نوراً وفى الجهالة حلما ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة .

واعلم يا أخى أن الصلاة تهدى إلى الصواب وهو ضد الخطأ ويكون أجرها نوراً فتشفع لصاحبها يوم القيامة . كما روى الطبرانى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال . إذا حافظ العبد على صلاته فأقام وضوءها وأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتنى فيصعد بها إلى السماء ولها نور حتى تنتهى إلى الله عز وجل أى إلى محل قربه ورضاه فتشفع لصاحبها . وقيل فى قوله تعالى : (إن الحسنات يذهبن السيئات) المراد بالحسنات هى الصلوات الخمس وقال العلائى فى تفسير سورة العنكبوت الصلاة بحر بين الموحدين يجمع فيه ألوان العبادات كما أن العرس يجمع فيه ألوان الطعام فإذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى

مع ضعفك أتيت بألوان العبادات قياماً وركوعاً وسجوداً . وقراءة وتهليلا وتكبيراً وتحميداً وسلاما فأنا مع جلالى وعظمتى لا يحل منى أن أمنعك من جنة فيها ألوان النعيم وأوجبت لك الجنة بنعيمها . كما عبدتنى بألوان العبادات وأكرمك برزقى كما عرفتنى بالوحدانية فإنى لطيف أقبل عذرك وأقبل منك الخير برحمتى فإنى أجد من أعذبه من الكفار وأنت لا تجد إلهاً غيرى يغفر سيئاتك . عبدى لك بكل ركعة قصر فى الجنة وحوراء وبكل سجدة نظرة إلى وجهى . وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الصلاة مرضاة الرب وحب الملائكة وسنة الأنبياء ونور المعرفة وأصل الإيمان وإجابة الدعاء وقبول الأعمال وبركة فى الرزق وسلاح على الأعداء وكراهية للشيطان وشفاعة بين صاحبها وبين ملك الموت وسراج فى القبر إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة كانت الصلاة ظلا فوقه . وتاجاً على رأسه ولباساً على بدنه ، ونوراً يسعى بين يديه وستراً بينه وبين النار ورحمة المؤمنين بين يدى رب العالمين وثقلا فى الميزان وجوازاً على الصراط ومفتاحا للجنة لأن الصلاة تسبيح وتحميد وقراءة ودعاء ولأن أفضل الأعمال الصلاة فى وقتها .

ومما يحكى أن سيدنا عيسى عليه السلام مر على شاطىء البحر فرأى طيراً من نور انغمس فى الطين ثم خرج فاغتسل فعاد إلى حسنه ففعل هذا خمس مرات فتعجب من ذلك لجاءه جبريل وقال له ياعيسى أن الطير جعله الله مثلا لمن صلى الصلوات الخمس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالطين كالذنوب والاغتسال كفضل الصلاة والأحاديث والأخبار الواردة فى فضل الصلاة كثيرة . وفى هذا القدر كفاية ولنقتصر على ماذكرنا ولو شئنا لأتينا بشىء لا تحصيه الأقلام ولا تحيط به الأفكار .

اللهم إنا نسألك يا الله يا ألله يارباه ياسيداه ياخالقاه أن تعيننا على إقامة الصلاة الخمس فى أوقاتها آمين يارب العالمين واغفر لنا وارحمنا فإنك أنت الغفور الرحيم :

ضيعت عمرك فى اللهو وفى البطالة تشتكى
فأنت لا شك ظالم فى صورة المظلوم
أى شيء قد أصنع ومالى بما حكم القضا
أن كان فوق جبينى سطر الشقا مرقوم
أن نظرونى دعونى أبكى على أبوابهم
حتى أصير بذلى بين الورى مرسوم

الباب الثانى

فى عقـــوق الوالدين

قال الله تعالى : (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) وقال صلى الله عليه وسلم لو علم الله فى الكلام شيئا أقل من أف لما قال ذلك ، وقد بالغ سبحانه وتعالى فى الوصية بالوالدين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بين عاق والديه وبين إبليس فى النار إلا درجة واحدة وهو جاره فى النار وليس بين بار والديه وبين الأنبياء فى الجنة إلا درجة واحدة وهو جار الأنبياء فى الجنة وقال ﷺ ليلة أسرى بى إلى السماء رأيت أقواماً معلقين فى جزع من نخل وهم فى النار فقلت ماذنب هؤلاء ؟ فقال مالك يشتمون أمهاتهم وآباءهم فأمرنى ربى أن أعلقهم . وأن أخرج ألسنتهم من أقفيتهم بكلاليب من نار . وقال ﷺ من سب والديه نزل على جسمه فى القبر جمر بعدد كل قطرة نزلت من السماء إلى الأرض . وقال ﷺ أوصيكم بالصلاة وبر الوالدين وما ملكت أيمانكم . فإن بر الوالدين يزيد فى العمر . والذى نفسى بيده يكون العبد قد بقى من عمره ثلاث سنين فيحسن إلى والديه فيجعلهما الله ثلاثين سنة . ومن سب والديه فيجعلها الله ثلاثة أيام وكذلك الأهل والأقارب . وقال . ﷺ من عق والديه فقد عصى الله ورسوله وأشد الناس عذابا فى جهنم ثلاث ، العاق والزانى والمشرك بالله تعالى وروى عن بعض الصالحين قال عبرت ليلة على القبور

لأزورها إذ رأيت قبراً يخرج منه دخان . فوقفت لأنظر إلية . وإذا بالقبر قد انشق . وخرج منه شخص أسود وفى يده عمود من حديد وبين يديه حمار يضربه على رأسه . والحمار ينهق ثم جره بسلسلة من نار فأدخله القبر ودخل خلفه . وانطبق عليهما القبر . قال فلقيت امرأة فسألتها عن ذلك فقالت كان هذا يزنى ويشرب الخمر وكانت أمه تخاصمه وتنهيه عن ذلك فلا يسمع ويقول لها انهقى كما ينهق الحمار فلما مات مسخه الله حمارا . فهو فى كل ليلة يخرج من قبره ويفعل به كما رأيت . فنعوذ بالله من النار . ومن القطيعة والبوار . ومن شر الأشرار وكيد الفجار ونسأل الله أن يدخلنا الجنة التى تجرى من تحتها الأنهار دار الأبرار بجوار النبى المختار فى دار القرار .

إذا نوديت قم للعرض تقرى فضائح والفضائح فى كتاب
وأهل العرض قد وقفوا حيارى وزرب العرش يغضب بالعذاب
فكم شب ينادى واشبابى وكم شيخ ينوح على المصيب
فيا أسفى على بعدى وكدى وخوفى منه أعظم من عذاب

إخوانى لا ظلم أشد من الغفلة ولا عمى أشد من عمى القلب ولا خذلان أشد من التسويف . وأوحى الله إلى موسى عليه السلام . ياموسى من بر والديه فليس له عندى إلا الجنة . ومن عق والديه فليس له عندى إلا النار قال أحمد النماد رضى الله عنه . مات أخ لى فرأيته فى المنام بعد موته فقلت له يا أخى مافعل الله بك ؟ فقال لى يا أخى . أعلم أنه منعنى بعقوق الوالدين أن أشم رائحة الجنة وإنه منتظر قدومها لعلها ترضى عليه وتسامحه فيرضى الله تعالى عنه مع رضا الوالدين .

وقيل أوحى الله إلى داود عليه السلام : قل لبنى إسرائيل إياكم وعقوق الوالدين وقتل النفس . وأكل الرباء ياداود إن أدنى ما أصنع بالمرائى أن أكون حدقتيه ظاهرة وباطنة بمكاوى النار وقال عليه الصلاة والسلام يحشر المرائى يوم القيامة أنتن من الجيفة من حفظ طرفه حفظ الله عليه أهله ومن نظر إلى عورة أخيه المسلم هتك إلى عورته وكحل بالنار حدقته .

وحكى عن الشبلى رضى الله عنه قال : رأيت فتى فى الطواف فتفرست فيه الخير فإذا هو قد نظر امرأة تطوف أيضا وإذا بسهم قد أصاب عينه ففقأها فقال آه عينى ذهبت . ثم أخرج السهم من عينه وإذا عليه مكتوب نظر طرفك إلى غيرنا فأعميناه ولو نظر قلبك إلى غيرنا لأكوينــــاه . قال الشيخ جمال الدين أبو فرج بن الجوزى رضى الله عنه عن عقوبة النظر فروى عن ابن عباس رضى الله عنه أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم يتسلسل دما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك على هذه الحالة قال مرت بى امرأة فنظرت إليها فلم أزل أتبعها ونظرى معها فاستقبلنى جدار فضربنى ووقع بى ماترى فقال صلى الله عليه وسلم إن الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيرا عجل له عقوبته فى الدنيا قال ابن يعقوب البهرجورى رحمه الله رأيت فى الطواف رجل بعين واحدة يقول فى طوافه أعوذ بك منك فقلت له ياهذا ماهذا الدعاء فقل إنى مجاور مكة منذ خمسين سنة فنظرت إلى شخص يوما فاستحسنته فإذا بلطمة وقعت من الهواء على عينى . فسالت على خــــدى فقلت آه فوقعت أخرى وإذا بقائل يقول لو زدت لزدناك .

العين أصل عناها فتنة النظر والقلب كل أذاه الشغل بالفكر

كم نظرة تمشى فى القلب صورة من — راح الفؤاد بها فى الحذر والأسر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها — فى أعين الغيد موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجتــــه — لامر حبا بسرور جاء بالضرر
فالقلب يحسد نور العين إذا نظرت — والعين تحسده حقا على الفكر
يقول قلبى لعينى كلما نظرت — كم تنظرين لقاء الله بالنظر
فالعين تورثه هما فتشغــــله — والقلب بالدمع ينهاها عن النظر
هذان خصمان لا أرضى بحكمهما — فاحكم فديتك بين القلب والبصر

وكان الربيع بن خيثم رضى الله عنه من شدة غض بصره وأطرافه يظن الناس أنه أعمى . وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود رضى الله عنه عشرين سنة فإذا طرق الباب خرجت إليه الجارية فتراه مطرقاً غاضا بصره تقول صديقك الأعمى قد جاء فكان ابن مسعود يبتسم لقولها وكان ابن مسعود إذا نظر إليه قال وبشر المخبتين أما لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لفرح بك وأحبك وكان بعض الصالحين يقول ياقوم غرقت السفينة ونحن نيام هذا آدم لم يتسامح بلقمة . وداود لم يساهل له فى نظره فكيف بنا ونحن على مانحن عليه من سوء الفعال وأشد الوبال والنكال والنظر إلى غير الحلال . روى عن عبد الله أنه رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال غفر لى كل ذنب أقررت به إلا ذنبا واحداً أستحيت أن أقر به فأوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى فقيل له ماكان الذنب فقال نظرت إلى شخص جميل . فاسمع الآن أوصافك ياكثير الذنوب والأوزار يامنهمكا على المعاصى آناء الليل وأطراف النهار يامن كلما خوف لم يخف ألك طاقة

على عذاب النار .

عاتبت قلبي لمـــا رأيت جسمي نحيـــلا
فألزم القلب طـــرف وقال كنت أنت الرسولا
فقـــال طرفي لقلبي بل أنت كنت الدليلا
فقلت كذبتما جميعا أنز كتماني عليـــلا
وقد اشتـــد نوحي عليـــكما والعويلا
ومن رضا بالذى لا يحل كان جهولا
فتب إلى الله واجتهد أن رمت تعطى القبولا
فليس ثم عداها يلقى إليهـــا السبيلا

وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام : ياموسى لولا من يقول لا إله إلا الله مانزلت من السماء قطرة ولا نبتت فى الأرض ورقة وإنى آليت على نفسى من قبل أن أخلق السموات والأرض أن من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله صادقاً من قلبه كتبت له براءة من النار . وقال أنس بن مالك رضى الله عنه كان على عهد رسول الله ﷺ رجل يسمى علقمة . وكان كثير الاجتهاد عظيم الصدقة يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويفعل الخير . فمرض يوما مرضاً شديداً واشتد مرضه فبعث زوجته إلى النبى ﷺ تقول له أن زوجى علقمة فى النزع يعنى فى نزع روحه فأردت أن أعلمك

يارسول الله بما له فأرسل ﷺ عمر وبلال وصهيب وقال امضوا إلية ولقنوه الشهادة فجاءوا إليه فوجدوه فى النزع فجعلوا يلقنوه الشهادة ويقولون له قل لا إله إلا الله محمد رسول الله . ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى النبي ﷺ وأعلموه بذلك فقال هل أحد من والديه حى فقيل له أم كبيرة السن فأرسل إليها النبي ﷺ وقال لها يا أم علقمة إن قدرتى على المسير إلى النبي ﷺ فسيرى إليه وإلا يأتى إلى منزلك فقالت أم علقمة نفسى لنفسه فداء أنا أحق بإتيانى إليه فقامت وتوكأت على عصاة . وأتت إلى رسول الله ﷺ وسلمت عليه فرد السلام . وقال لها يا أم علقمة أصدقينى وإن كذبت على جاء الوحى من الله تعالى كيف كان حال ولدك علقمة ؟ قالت يارسول الله . كان كثير العبادات كثير الصلوات كثير الصيام كثير الخيرات كثير الحسنات قال فما حالك معه ؟ قالت . أنا عليه ساخطة لأنه كان يؤثر زوجته على ويعصينى فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة ثم قال رسول الله صلى الله يابلال انطلق واجمع لى حطبا كثيرا . فقالت أم علقمة وما تصنع به يارسول الله فقال أحرق به علقمة فقالت يارسول الله إن ولدى لم يتحمل الحرق ولا يتحمل قلبي حرقه فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى وإنى أريد عنه التخفيف فى الآخرة فو الذى نفسى بيده لا ينفع علقمة صيام ولا صلاة ولا زكاة ولا حج ولا عمرة ولا صدقة ولا حسنة ولا عمل مادامت أمه عليه غاضبة وساخطة فقالت أمه يارسول الله إنى رضيت عن ولدى علقمة فقال النبي ﷺ انطلق وانظر هل يستطيع أن يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله أم لا . فلعل أم علقمة تقول بما ليس فى ضميرها . ولا فى قلبها حياء منى فانطلق بلال فسمع علقمة يقول من داخل الباب . لا إله إلا الله محمد

رسول الله . وإن رضاها أطلق لسان ولدها . ثم مات من يومه . ثم حضر رسول الله ﷺ دفنه فقام على شفير القبر وقال . يامعشر المهاجرين والأنصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا إلا أن يتوب (والصرف هو النافلة . والعدل هو الغرض) ويحسن إليها ويطلب رضاها فرضا الحق من رضاها . وسخط الحق من سخطها . وقال ﷺ أطعمها ولو كانا كافرين فإن الجنة تحت أقدامها . وعنه ﷺ أنه قال يوما لأبى ذر . قم بنا نزور الغرباء . فقال أبو ذر يارسول الله وما الغرباء ؟ قال الذين لا يزورهم أحد فقال يارسول الله لعلك تعنى الموتى قال نعم قال فقمنا حتى بلغنا القبور فوقف النبى صلى الله عليه وسلم على قبر وبكى بكاء شديداً فقلت ما أبكاك يارسول الله قال يا أبا ذر هذا رجل يعذب وهو من أمتى . فنزل جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يامحمد قد بكت الملائكة لبكائك ! قال فدعا النبى صلى الله عليه وسلم فسمع ميتا من القبر يقول . الأمان الأمان يارسول الله من شدة عذاب الله . النار من فوقى ، ومن تحتى ، وعن يمينى وعن شمالى . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ياشاب لأى شىء استحقيت هذا العذاب ؟ فقال يارسول الله من دعاء والدتى على فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر ناد الناس من له ميت فليحضر قبر ميته ، فخرج أبو ذر فأعلم الناس فحضروا قبور موتاهم إلا ذلك القبر لم يأت إليه أحد فلما كان بعد ساعة ، وإذا بعجوزة قد أقبلت وهى تتوكأ على عصاة ، وهى تقوم مرة وتقعد أخرى حتى انتهيت إلى رأس القبر ، فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ياهذه أنت صاحبة القبر هذا ، وهو منك قالت هو ولدى وقرة عينى فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم

هل أنت راضية عليه ؟ قالت لا لأنه دخل على يوما وهو سكران فضربنى وكسر يدى فقلت له لأرضى الله عليك ، فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم أرحمى ترحمى ضعى أذنيك على قبر ولدك واسمعى صوته بالأنين من تحت الضرب والعذاب ، وهو يقول الأمان الأمان يارسول الله من عذاب الله النار من فوق ، والنار من تحتى ، والنار عن يمينى ، والنار عن شمالى ، والنار من خلفى ، والنار من أمامى ، قال فلما سمعت صوته بهذا العذاب الأليم بكت بكاء شديداً . وقالت يارسول الله قد رضيت عنه ، قال فعند ذلك قال للشاب من القبر . انصرف فقد رحمنى الله برضاك عنى ، فاعلموا يا إخوانى أن الله تعالى قرن رضاه مع رضا الوالدين فأطعهما فطاعتهما واجبة على كل إنسان إلا فى المعاصى فلا يطاعا . وقيل لبعض الرهبان الصالحين . لأى شىء قست قلوبنا وكثرت ذنوبنا ولا نتوب إلى ربنا فقال لهم الراهب ، لأنكم تركتم الآخرة وعملتم الأعمال الخاسرة ، وعصيتم الوالد والوالدة وتركتم العدل وظهر فيكم الظلم ، وضيعتم الأمانة وأظهرتم الخيانة ودخلكم الكبر وظهر فيكم الغدر . وضيعتم الصلوات ومنعتم الزكاة ومشيتم بالغيبة والنميمة ، وظلمتم الأيتام . وجرتم فى الأحكام ، وعصيتم الرحمن وأطعتم الشيطان وأكلتم الربا وأطعتم النساء وتعاملتم بالفجور وشهدتم الزور وتواضعتم للأغنياء وتكبرتم على الفقراء . فلذلك قست قلوبكم وكثرت ذنوبكم فلا واعظ زاجر ، ولا خائف ذاكر . كلامكم حلو وفعلكم مر وألسنتكم فاحشة وقلوبكم غائبة فلا من الله تستحون ولا إليه تتقربون فما قليل تموتون ثم تبعثون وتسألون عما كنتم تعلمون .

ما حيلتي ما حيلتي والسيئات ذخيرتي
واحيرتي واحيرتي في يوم نشر صحيفتي
وقرائي اصغيرتي وقرائي اكبيرتي
إني مرضت من الذنوب فمن يداري علتي
فوا أسفاه على ماجرى فوا أسفاه وياحسرتي
لكن رجائي قوله لا تقنطوا من رحمتي

الباب الثالث

فى عقوبة شارب الخمر وما أعد الله له

قال الله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم ترحمون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعن الله الخمر . وبائعها وشاربها ومشتريها . فإياكم يا إخواننا والخمر فإن شاربها ملعون على لسان الأنبياء والمرسلين نعوذ بالله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم : يجيء شارب الخمر يوم القيامة مسودا وجهه مزرقة عيناه لسانه على صدره يسيل من فمه مثل الدم يفرق الناس منه ، فلا تسلموا على شارب الخمر . ولا تعودوه إذا مرض . ولا تصلوا عليه إذا مات . وإنه عند الله كعابد الوثن . ومن شرب الخمر فى الدنيا حرم الله عليه خمر الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم : يخرج شارب الخمر من قبره أنتن من الجيفة . والكوز معلق فى عنقه والقدح بيده ويملأ مابين جلده ولحمه حيات وعقارب . ويلبس نعلين من النار يغلى بهما دماغه . ويكون قبره حفرة من حفر النار وهو قريب من فرعون وهامان .

وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطعم شارب الخمر لقمة سلط الله على جسده حيات وعقارب فيلسعونه إلى يوم القيامة . ومن قضى له حاجة فقد أعان هدم الإسلام ، ومن أقرضه درهما فقد أعان على قتل مؤمن ، ومن جالسه حشره الله يوم القيامة أعمى لا حجة له ومن شرب الخمر فلا تعودوه فـو الذى نفسى بيده

مايشرب الخمر فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، إلا من كفر بالله تعالى وبجميع ماأنزل الله تعالى على جميع أنبيائه ، ومن استحل الخمر فإنه برىء منى وأنا برىء منه . وإن الله تعالى أقسم بعزته أن من شرب الخمر فى الدنيا لأعطشنه يوم القيامة عطشا يحرق فؤاده . ويخرج منه لسانه على صدره ومن تركه لأجلى سقيته من خمر الجنة فى حضيرة القدس من تحت عرشى ، وقيل إن الله تعالى يسقى شارب الخمر فى جهنم قدحا من نار تسقط فيه عيناه وينهرى لحم وجهه من وهج ذلك القدح ، فإذا شربه تقطعت أمعاؤه وخرجت من دبره ، وعن أسماء بنت عميس رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شرب الخمر فى بطنه لم تقبل صلاته سبعة أيام ، فإن أذهبت عقله لم تقبل منه حسنة أربعين يوما فإذا مات قبـــل الأربعين مات كافرا ، وإن تاب تاب الله عليه ، وإن عاد كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال صديد أهل النار وهو الدم والقيح ، قال ابن مسعود رضى الله عنه إذا دفنتم شارب الخمر فانبشوه فإن لم تجدوا وجهه مصروفاً عن القبلة فاقتلونى فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا شرب الخمر عبد أربع مرات سخط الله تعالى عليه وكتب فى سجين ولا يقبل منه صومه ولا صلاته ولا صدقته إلا أن يتوب ويرجع .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد يساق أهل الزنا والخمر إلى النار يوم القيامة فإذا دنوا منها فتحت لهم أبوابها واستقبلتهم الزبانية بمقامع من حديد يضربونهم فى باب النار بعدد أيام الدنيا ، ثم يدفعونهم إلى منازلهم فلا يبقى عضو حتى تلدغه حية أو عقرب . ثم يهوى على أم رأسه أربعين سنة

لا يبلغ الدركة ثم يرفعه اللهب إلى رأس الطبقة فتضربه الملائكة والزبانية فيهوى إلى قعر النار (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) ثم يعطشون عطشا شديداً فينادون العطش فتقدم لهم الملائكة والزبانية بأقداح من جهنم تغلى وتفور . فإذا تناول القدح سقط لحم وجهه فإذا شربه سقطت أسنانه وأضراسه ، فإذا وصل الحميم جوفه قطع أمعاءه وخرجت من دبره ثم تعود كما كانت فهذه عقوبة الذى يشرب الخمر نعوذ بالله تعالى منها ومن شربها وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بشارب الخمر يوم القيامة والكوز معلق فى عنقه والطنبور فى كفه حتى يصلب على خشبة من نار . ثم ينادى مناد هذا فلان ابن فلان ، فيخرج من فمه نتنة فتلعنه أهل المحشر ثم تلعنه الزبانية ويردونه إلى جهنم فيبقى فيها ألف سنة ينادى العطش العطش ثم يرسل عليه عرق نتن ثم تحرقه النار حتى يصير رمادا ثم يخلق فيقوم مغلولة يداه رجلاه يسحب فيها بالسلاسل على وجهه شربه الحميم ، وطعامه الزقوم ثم يلبس نعلين من نار يغلى منهما دماغه حتى يخرج المخ من أذنيه وأضراسه ، وتتساقط أحشاؤه على قدميه ، ثم يجعل فى تابوت من جمر ألف سنة طويل عذابه ضيق مدخله سايل صديده ، يقول يا رباه قد أكلت النار لحمى ، فويل له ، إن شكى لا يرحم وإن نادى لم يجب ثم يوضع على رأسه خوذة من نار ، ثم يردونه إلى وادى ويل . وهو واد فى جهنم أشدها حرا وأكثرها سلاسل وأكبرها حيات وعقارب فيبقى فى ذلك الوادى ألف سنة ثم ينادى . ومحمداه قال : فيسمع النبى صلى الله عليه وسلم صوته فيقول يارب اسمع صوت رجل من أمتى فى جهنم فيقول الله تعالى هذا رجل من أمتك شرب الخمر فى الدنيا ومات غير تائب فيقول النبى صلى الله عليه وسلم يارب قد خرج من شفاعتى إلا أن تعفو عنه ، فتب أيها العبد من الذنوب إليه ،

واعتذر من الخطايا لديه فشارب الخمر عذابه عند الله أليم ، وجرمه عظيم . فمن استحل شربه كان كافرا بالله ورسوله ، لأنه يأتى يوم القيامة ووجهه أسود ، وريحه كالح ومنتن فيؤذى أهل الموقف من نتن ريحه . ومن سوء فعاله ، ولا ينظر الله إليه ولا يزكيه . وله عذاب أليم . فويل ثم ويل لمن لم ينظر الله إليه فإنه قد حق العذاب عليه وأحاطت المصائب والبلايا لديه وما من يوم أو ليلة تمر عليه إلا ويلعنه كل ملك فى السماء والأرض حتى الحيتان فى البحر ومن لعنه الله فقد طرده وأبعده من رحمته ، فشارب الخمر من إخوان الشياطين وهو بعيد عن رحمة الله قريب من غضب الله ونقمته ، وهو أول من يدخل النار . والتائب منه أول من يدخل الجنة إن شاء الله تعالى . ومن كان فى قلبه مائة آية من كتاب الله تعالى . وصب عليها من الخمر جاء يوم القيامة كل حرف من القرآن يخاصمه بين يدى الله تعالى . ومن خاصمه القرآن الكريم فهو هالك مع الهالكين فاسق مع الفاسقين ولا يعد من المؤمنين .

روى عن الشيخ الإمام سيدى عبد العزيز الديرينى رضى الله عنه أنه قال كنت ذات يوم ماشيا إلى المسجد فإذا بنسوة يتباكون على الطريق فقلت لهن قصتكن ؟ قالوا مريضا ندعوه للشهادة ونكررها عليه وهو لم يقلها فقلت أدخل عليه واكتسب أجره وأشاهده فدخلت عليه ولقنته شهادة أن لا إله إلا الله فلم يقلها ، كررتها عليه ففتح عينه وقال كفر بلا لا إله إلا الله وتبرأ من الإسلام ، ثم خرجت روحه من جسده فخرجت من عنده فناديت ياقوم لا تصلوا عليه ولا تدفنوه فى مقابر المسلمين فإنه مات كافراً ، قال فسألنا أهله عن عمله فقالت لا نعلم له ذنبا إلا أنه كان يشرب الخمر ، فالخمر سلب إيمانه عند الموت نعوذ

بالله تعالى من ذلك ، فتب أيها العبد الضعيف قبل مقاطعة الرب اللطيف ، فياويل من عصاه ، وكانت النار مأواه فبادروا إلى التوبة مادام الباب مفتوحا وارغبوا إلى مولاكم أن يبعدكم عن هذه الخمرة قبل أن يصير القلب مجروحا .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا تاب العبد عرجت الملائكة بروحه إلى السماء فتقول الملائكة ياربنا عبدك فلان قد استيقظ من سنة الغفلة واللهو وقف بين يديك بالذل يبكى ويتضرع فيقـــول الله تعالى ياملائكتى زينوا السموات لقدوم حضرته افتحوا أبواب القرب لقبول توبته فإن نفس التائب إذا تاب أعز عندى من الأرضين والسموات ، وإذا لازم التوبة ووقف فى الخدمة بدلت ذنوبه حسنات (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها وحاملها والمحمولة إليه وشاربها وساقيها وآكل ثمنها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب شربة من مسكر لا يقبل الله تعالى له صلاة أربعين يوما فإن تاب تاب الله عليه ومن شرب شربتين من مسكر لا يقبل الله منه صلاة ثمانين يوما ومن شرب ثلاث شربات من مسكر لا يقبل الله تعالى له صلاة مائة وعشرين يوما . وكان حقا على الله تعالى أن يسقيه من ردغة الخبال ، قال ابن عمر هو صديد أهل النار وقيحهم ، وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه اجتنبوا الخمرة فإنه كان من قبلكم رجل يتعبد ويعتزل الناس فلقيته امرأة غوية فأرسلت جاريتها إليه وقالت ياسيدى إنا ندعوك لشهادة فكلما دخل من باب غلق دونه إلى أن أفضى إلى امرأة وضيئة وعندها غلام وباطية خمر فقالت له والله مادعوتك لشهادة ، إنما دعوتك لتقع على أو تقتل هذا الغلام أو تشرب هذا الخمر فسقته الخمر فقال زيدونى قال فلم يزل حتى واقعها وقتل النفس ،

فاجتنبوا الخمر ، لا تجتمع هى والإيمان أبداً ويوشك أحدهما أن يخرج صاحبه :

يا راقد الليل قل هذا الرقاد إلى متى .
لو قمت فى الليل ساعة لفعلت ما تختار
قم وانتبه يا حبيبى فالعمر قد ولى
وقد جاء الشيب نذيرا لو تسمع الأقدار
على سفر أنت فافهم فأين دارك يا فتى
قل لى بلا زاد تقدر تكابد الأسفار
ما هذا فعل عاقل تكون عنده تبصره
لاشك أن البصيرة تغنى عن الأبصار
قم حصل الزاد تفلح وتستريح من العنا
وليس بعد تبالى على غلا الأسعار
وأول الركب وافق لينتقل من قد بقى وعندما يتكامل قرأه بأمله سار
كم ذا التغافل قل لى وكم خطايا وكم تزيد
ما ثم إلا جنة زخرفت أو نار
ضيعت عمرك فى الهوى وما حصلت لك فائدة
هذه الخسارة بانت إن كان لك استبصار
شيبك نذيرك يقول لك بقى القليل
وحضر الشيب أن كنت تدرى مناجل الأعمار
ومالك عمرت الظاهر وباطنك كله ضرب
لو يعلم الناس حالك رجمت الأحجار

الباب الرابع

فى عقـــوبة الزنا

قال الله تعالى : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة ومقتاً وساء ســـبيلا) وقال تعالى : (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخـذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى لا ترحوهم فإن الله تعالى غضب عليهما فإن لم يؤخذ الحد منهما فى الدنيا أخـذ منهما فى الآخرة سبيلا من نار قدام الخلق فى الموقف قال الله تعالى « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » ولله تعـالى فى هـذه حكمة ، وهو أن الزانى يخشى الفضيحة ، ويخشى الحاضر ومن العقوبة أيضاً .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال . احـذروا الزنا فإن فيـه ستة خصال ثلاثة فى الدنيا ، وثلاثة فى الآخرة ، فأما التى فى الدنيا . فإنه ينقص الرزق ويذهب البركة وإذا خرجت روحه تحجب عن الله تعالى ، وينظر إلى النار والزبانية وأما التى تصيبه فى الآخـرة فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب فيسود وجهه ، والثانى يكون حسابه شديداً والثالث يسحب فى سلسلة إلى النار ، وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً . احذروا الزنا فإن فيه ستة خصال ثلاثة فى الدنيـا وثلاثة فى الآخرة فأما التى فى الدنيا يذهب إليها ويورث الفقر وينقص العمر ، وأما التى فى الآخرة : فيوجب سخط الله وسوء الحساب « والخلود يوم القيامة فى النار ، وقال رسول الله ﷺ : إن الزانيات يأتون يوم القيامة تشـــعل

فروجهم ناراً يعرفون بين الخلائق بنتن فروجهم يسحبون على وجوههم إلى النار . فإذا دخلوها يكسوهم مالك دروعا من نار لو وضع درع الزانى على جبل لأصبح رماداً ، ثم يقول مالك معشر الزبانية أكووا أعينهم أى عيون الزانيات بمسامير من نار كما نظرت عيونهم إلى الحرام وغلوا أيديهم كما امتدت إلى الحرام وقيدوا أرجلهم كما مشت إلا الحرام ، وقال صلى الله عليه وسلم من ملأ عينه من حرام ملأ الله عينه من جمر جهنم ، ومن زنا بإمرأة حراما ، أقامه الله تعالى من قبره عطشاناً عرياناً باكياً حزيناً مسوداً وجهه فى عنقه سلسلة من نار وسرابيل من قطران ، ولا يكلمه الله ولا يزكيه وله عذاب أليم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من زنى بإمرأة متزوجة كان عليه وعليها نصف عذاب الأمة فى القبر فإذا كان يوم القيامة يحكم الله تعالى زوجها فى حسناته فيأخذها ويحمله ذنوبه ويسوقه إلى النار هذا إذا كان ذلك الزانى بغير علمه وأما إذا كان يعلم وسكت حرم الله تعالى عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة أنت حرام على الديوث والديوث هو الذى يرضى بالقبح فى أهله نعوذ بالله تعالى من ذلك ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليلة أسرى بى رأيت فى النار تنانير من نحاس ضيقة الأبواب ، وفيها رجال ونساء محبوسين مع الحيات والعقارب تنهشهم يسيل من فروجهم الصديد يصيح أهل النار من نتنهم معلقون بشعورهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الزوانى والزانيات ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صافح امرأة حراما جاء يوم القيامة ويده مغلولة إلى عنقه بسلسلة من نار ، فإن قبلها قرضت الزبانية شفتيه بمقاريض من نار فإن واقعها نطقت فخذاه بين يدى الله تعالى يقولان فعلنا كذا وكذا فى موضع كذا وكذا فى شهر كذا وكذا فينظر الله تعالى إليه بعين الغضب فيقع لحم وجهه ويبقى وجهه عظما بلا لحم فيقول الله تعالى للحم ارجع مكانك إذنى فيرجع ويبقى

وجه الزانى أسود شديد السواد ، قال فيجادل ويقول ما عصيت يا رب أبداً فيقول الله تعالى للسان أخرس فيخرس وتنطق الجوارح بين يدى الله عز وجل فتقول اليد إلهى أنا للحرام تناولت وتقول العين أنا للحرام نظرت وتقول الرجلان أنا للحرام مشيت ، ويقـــول الفرج وأنا فعلت .

ويقول الحافظ وأنا سمعت ، ويقول الآخر وأنا كتبت ، وتقول الأرض وأنا نظرت ، ويقول الله سبحانه وتعالى وأنا أطلعت وسترت يا ملائكتى خذوه وفى عذابى ألقوه ومن سخطى أذيقوه وفى غضبى استروه فقد اشتد غضبى على من قل حياءه منى فاستيقظ يا صاحب الزلل والعيوب ، ومن يستغفر عنك بعد الموت ويتوب ، وإياك إياك والزنا فإن الزانى لم تنله رحمة الله تعالى . وله فى الآخرة أشد العذاب الأليم ولتعلم يا أخى أن حد الزانى مائة سوط ، وتغريب عام إن كان غير محصن وأما المحصن : وهو الحر المكلف الذى وطىء فى نكاح صحيح ولو مرة واحدة فى عمره ، فحده الرجم بالحجارة إلى أن يموت .

قال العلماء : ومن مات من غير حد ولا توبة عذب بالنار بسياط من نار ، كما ورد أن فى الزبور مكتوب : إن الزناة يعلقون بفروجهم يضربون بسياط من حديد فإذا استغاث أحدهم من الضرب نادته الزبانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ، ولا تستحى ، واعلم يا أخى أنه قد جاء فى السنة الشريفة تغليظ عظيم فى الزوانى لا سيما الزانى بحليلة الجار الغائب عنها زوجها وأعظم الزنا على الإطلاق ، الزنا بالمحارم وهو بأجنبية لا زوج لها فهو عظيم . وأعظم منه الزنا بأجنبية لها زوج وزنا الثيب أقبح وأشد عند الله من البكر وزنا الشيخ الكامل عقله أقبح من زنا

الشيب والحر والعالم والكامل لهما أقبح من القن والجاهل ، وقد ورد فى ذلك أحاديث كثيرة .

واعلم أن للزانى ثمرات قبيحة منها أن يورد صاحبه النار والعذاب الشديد ، ومنها أنه يورث الفقر ، ومنها أنه يؤخذ من ذرية الزانى بمثله .

وقد حكى أنه لما قيل لبعض الملوك على ذلك أى أنه من زنا أو فعل شيئاً من مقدمات الزنا يقتص مثله من ذريته فأراد الملك أن يجرب ذلك فى بنته وكانت فى غاية الحسن والجمال فأنزلها مع امرأة فقيرة ، وهى مزينة معطرة عليها من أنواع الحلى والحلل وأمرها أن لا تمتنع من أحد أراد التعرض لها بأى شىء شاء . وأمرها بكشف وجهها ، وأنها تطوف بها فى الأسواق ، قال فامتثلت أمره وخرجت فما مرت بها على أحد إلا وأطرق منها حياء وخجلا . ولم يقدر أحد أن يمد يده إليها فلما قربت بها المرأة من دار الملك لتريد الدخول بها أمسكها إنسان وقبلها ثم ذهب عنها قال فادخلتها على أبيها فلما سألها عما وقع ذكرت له القصة بتمامها . وأنه لم يقدر أحد أن يمد يده إليها إلا فلان فإنه قبلها فسجد شكرا لله تعالى وقال الحمد لله الذى ما وقع منى فى عمرى إلا قبلة واحدة وقد اقتصت من ابنتى فيا إخوانى السعيد من حفظ فرجه وغض طرفه وكف يده .

ويحكى أن بعض العرب عشق امرأة وأنفق عليها أموالا كثيرة حتى مكنته من نفسها ، فلما جلس بين شعبها . وأراد الفعل ألهمه الله تعالى التوفيق فتفكر فى أمره ، وأراد القيام عنها فقالت له ما شأنك ؟ فقال لها . من يبيع جنة عرضها السموات والأرض . ثم تركها وذهب . ووقع لبعض الصالحين أن

نفسه حدثته بفاحشة فكان عنده فتيلة فقال لنفسه يا نفس أين أدخل أصبعى فى هذه الفتيلة . فإذا صبرت على حرها مكنتك فيما تريدين قال ثم أدخل أصبعه فى الفتيلة حتى أحست نفسه أن الروح كادت تزهق منه من شدة حرها فى قلبه ، وهو يتجلد على ذلك ويقول لنفسه تصبرين وإن لم تصبرى على هذه النار اليسيرة التى طفيت بالثلج سبعين مرة حتى قدرت أهل الدنيا على مقابلتها فكيف تصبرين على حـــر نار جهنم المتضاعفة حرارتها على هذه سبعين فرجعت نفسه عن الخاطر ، ولم يخطر لها بعد ذلك فنسأل الله تعالى التوفيق والعفو والعافية إنه جواد كريم رءوف رحيم . ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم فيا إخواننا من أراد أن ينجو من عذاب الله تعالى يجتنب المعاصى وشهوات الدنيا فإن الجنة قد حفت بالمكاره والنار قد حفت بالشهوات .

يا نفس توبى فإن الموت قد جانا
واعصى الهوى فالهوى ما ما زال فتانا

أما ترين المنايا كيف تلقطنا ... لقطا وتلحق أخرانا بأولانا
فى كل يوم لنا ميت نشيعه ... ننسى بمصرعه آثار موتانا
يا نفس مالى وللأهوال أجمعها ... خلنى وأخرج من دنياى عريانا
يا نفس كم غفلت عن يوم مبعثنا ... ننسى بغفلتنا ما ليس ينسانا

يا نفسى توبى من المعاصى وازدجرى
واخشى إلهنا سراً وإعلاناً

يا نفس أين ملوك الأرض كلهم ومن يخر لهم بالذل أذقانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا
مستبدلين من الأوطان أوطانا
أخلوا منازل كان العز مفرشها واستبدلوا حفرا غبرا وقيعانا
بارا كنا فى ميادين الهوى مرحاً ورافلا فى ثياب الغى نشوانا
مضى الزمان وولى العمر فى لعب يكفيك ماقدمضى قد كاناما كانا

الباب الخامس

فى عقـــوبة اللواط

قال الله تعالى : (أتأتون الذكران من العالمين) وقال تعالى : (إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عمل عمل قوم لوط فاقتلوه يعنى الفاعل والمفعول به ، قال ابن عباس رضى الله عنهما حد اللوطى أن يرمى من سطح عال ويرجم بالحجارة حتى يموت فإن الله تعالى رجم قوم لوط بالحجارة من السماء .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غضوا أبصاركم عن الغلمان المرد فإن لهم فتن كفتن النساء وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال إياكم ومجالسة أبناء الملوك فإن لهم فتناً كفتن الجوارى ، وروت عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يقبل الله منهم لا إله إلا الله الراكب والمركوب ، والإمام للجائر ولو اغتسل اللوطى بمياه الدنيا جميعاً لم يزل نجساً حتى يموت وإن الشيطان إذا رأى الذكر على الذكر هرب خشية معالجة العذاب ، وإذا ركب الذكر على الذكر اهتز عرش الرحمن وتكاد السموات أن تقع على الأرض فتمسك السموات أطرافها وتقرأ سورة الرحمن حتى يسكن غضب الجبار .

وروى عن سيدنا عيسى عليه السلام أنه رأى نارا توقد على رجل فى

البرية فأخذ الماء ليطفئها فانقلبت النار غلاما ، وانقلب الرجل ناراً فبكى عيسى عليه السلام وسأل ربه أن يخبراه بخبرهما فقال الرجل يا عيسى إنى كنت فى الدنيا مبتلى بحب هذا الغلام فحملتنى الشهوة على أن أفعل به ليلة الجمعة فمر علينا رجل فقال ويلكما اتقيا الله عز وجل فقلت لا أخاف ولا أتقى فلما مات ومات الغلام صيره الله تعالى ناراً تحرقنى تارة وأحرقه أخرى فهذا عذابنا إلى يوم القيامة ، نعوذ بالله من النار ومن غضب الجبار ، وقال عليه الصلاة والسلام سبعة لعنهم الله تعالى ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . ويقال لهم أدخلوا النار مع الداخلين الفاعل والمفعول به يعنى بذلك اللواط ، وناكح المرأة فى دبرها وناكح البهمة وناكح يده وناكح المرأة وبنتها والزانى بحليلة جارة . والمؤذى جاره حتى يلعنه الناس إلى أن يتوبوا :

وقال سيدنا سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لإبليس اللعين أى الأعمال أحب إليك قال لا شيء أحب إلى من اللواط ولا أبغض إلى الله تعالى منه فقال سليمان ويلك ولم ذلك قال لأنه ليس أحد يعتاده ويصبر عنه ، ويغضب الله عليه ، ومن غضب الله عليه حجبه عن جنته . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللعب بالنرد من عمل قوم لوط ، والمسابقة بالخيل ، والمسابقة بالحمام ، والمهارشة بين الكلاب والمنافرة بالديوك ، ودخول الحمام بلا مئزر ، ونقصان الميزان والمكيال وسباق القلم ، كل هذه من أفعال قوم لوط ، ويل لمن يفعلها .

اكتفت الرجال بالرجال . والنساء بالنساء فلما كشفوا ازرار الحياء عن رءوسهم وبارزوا الله تعالى بالمعاصى نكسهم الله تعالى على رءوسهم ، وقلب مدائنهم وجعل أعلاها أسفلها ، وأسفلها أعلاها ورجمهم بالحجارة من السماء ،

وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، وقال صلى الله عليه وسلم : من مات وهو يعمل عمل قوم لوط يكتب على جبينه آيس من رحمة الله تعالى . وقال يؤتى يوم القيامة بأطفال ليس لهم رءوس فيقول الله تعالى لهم : من أنتم ؟ فيقولون نحن المظلومون فيقول الله تعالى . من ظلمكم ؟ وهو أعلم بهم ، فيقولون آباؤنا كانوا يأتون الذكران من العالمين فألقونا فى الأدبار فيقول الله تعالى . سوقوهم إلى النار واكتبوا على جباههم آيسين من رحمة الله تعالى ، فيا إخواننا اجتنبوا الخطايا والعصيان قبل أن تنطق الجوارح وينخرس اللسان ، وينادى فيكم الملك الديان فهناك لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

الباب السادس

فى عقوبة آكل الربا

قال الله تعالى (يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم . يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) : يعنى أن المرابى يحارب الله ورسوله والله تعالى . يحاربه فويل ثم ويل لمن وقع الحرب بينه وبين الله ورسوله وقوله تعالى . (فإن لم تفعلوا) أى لم تتب أيها المرابى فاعلم أنه وقع الحرب بينك وبين الله ورسوله فويل لك بذلك لأن الحق جل وعلا غضبان عليك وقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة . واتقوا الله لعلكم تفلحون » فالربا من أعظم الكبائر ومن أشد المصائب على الإنسان . ولم ينزل فى جوف ابن آدم أشد من الربا :

وروى أن رجلا تذاكر مع جماعة فيما يحل ويحرم فحلف بالطلاق أنه لا يدخل فى جوف ابن آدم أشر من الخمر ثم تفكر فى ذلك أنه ربما يكون شىء أعظم وأشر من الخمر فقالوا له . سل عن يمينك هذا فأتى إلى عالم ذلك الزمان وهو الإمام الأعظم مالك بن أنس رحمه الله تعالى ورضى عنه فسأله فقال ارجع حتى أتصفح كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأنظر فى أمرك وأتنى غدا ، قال فأتاه من الغداة فقال له الإمام إن زوجتك أيها الرجل طلقت منك فقال له لماذا ؟ فقال له : إنى تصفحت كتاب الله تعالى فوجدت فيه شيئا أعظم من الخمر

وهو الربا فقد قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) الآية الشريفة كما تقدم فعلم بهذا أن الربا أعظم الذنوب نعوذ بالله منه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليلة أسرى بى سمعت فوق رأسى رعدا وبرقاً وصواعق ورجالا بطونهم بين أيديهم كالبيوت : وفيها حيات وعقارب فقلت . من هؤلاء ياجبريل ؟ قال هؤلاء أكلة الربا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعن الله آكل الربا ومطعمه وشاهده وكاتبه والواشمة والموشومة ومانع الزكاة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر فى آخر الزمان أربع خصال أكل الربا ، والزنا ، والإيمان الكاذبة ، ونقص المكيال والميزان ، فإذا ظهر فيهم ذلك وقعت فيهم الأمراض وابتلاهم الله بالسيف ، قال الله تعالى . (يوم يقوم الناس لرب العالمين) . قال كل الناس يقومون إلا آكل الربا فإنه يقوم ويقع بجنونا يتخبط فى جنونه قال الله تعالى . لا يقومون إلا كما يقدم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا ، فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ، ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) ، وقال صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن والفضة بالفضة وزنا بوزن والزايد والمستزيد يكوون به فى النار :

إذا برزت ليوم العرض نار وقودها الناس والحجارة
يفر المرء حقا من أخيه وينكر فى المعاد من استزاره
فلا الخل الرحيم بغيث خلا ولا الجار الشفيق يغيث جاره

وقد برز الجليل للفصل حكم ونشرت الصحائف مستطاره
ويفتضح المسيء بقبح فعل ومن يك محسنا فله البشارة

قال رسول الله ﷺ من أكل الربا ملأ الله قلبه نارا ولا يزال صاحب الربا في سخط مادام عنده منه قيراط واحد ، وأن الربا يحبط الحسنات ويعظم السيئات ويبطل الطاعات ، ومن كان صائما وأفطر عليه لم يقبل الله صومه ، ومن صلى وهو في بطنه لم يقبل الله صلاته . ومن تصدق منه لم يقبل الله صدقته وما من ساعة تمضي على المرابي إلا والحق عليه غضبان . ويوم القيامة يجازيه الله ولا ينظر إليه . أي نظر رحمة ورضوان . ولا يكلمه ، وله عذاب أليم إلا أن يتوب فإذا تاب تاب الله عليه وغفر له . لأن التوبة تهدم للعبد ماتقدم له قبلها من الذنوب .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : أيها الناس اتقوا ربكم في خمس مانقص قوم المكيال إلا ابتلاهم الله تعالى بالغلاء ونقص الثمرات . وما نكث قوم عهدهم إلا سلط عليهم عدوهم وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله عنهم المطر ، ولولا البهائم ماسقوا قطرة ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الطاعون ، وما حكم قوم بغير القرآن إلا أذاقهم الله تعالى جورا وذاق بعضهم بأس بعض .

وقال رسول الله ﷺ : إن على الصراط كلاليب من نار فمن تقلد درهما حراما تعلقت كلاليب النار في رجليه حتى يرده إلى أهله ويؤخذ من حسناته إن وفت وإلا حمل ذنوبهم ووقع في النار ، فيا إخواننا ردوا المظالم إلى أهلها قبل أن تؤخذ من حسناتكم إن كان لكم حسنات ، وإن لم تكن حسنات موجودة وضعت عليكم من سيئاتهم ثم طرحتم بها في النار ، نعوذ بالله تعالى من النار ومن غضب الجبار ، ونسأل الله أن يدخلنا دار الأبرار مع المتقين الأخيار بجوار النبي المختار عليه أفضل الصلاة والسلام .

الباب السابع

فى عقوبة النائحة وفى ثواب الصبر على المصيبة

قال الله تعالى (وإنا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون) وقال تعالى « والذين يشهدون الزور » قيل هى النائحة ، وقال رسول الله ﷺ تخرج النائحة من قبرها شعثاء غبراء عليها درع من جرب . وجلباب من غضب الله تعالى وسربيل من قطران واضعة يدها على رأسها : وهى تنادى واويلاه والملك يقول آمين ثم تكون أجرتها على النياحة حظها من النار .

وقال بعضهم : سألت الحسن البصرى هل كان نساء المهاجرين فى زمن النبى ﷺ يفعلن هذا الفعل ؟ قال لا والله لقد عرت امرأة على رسول الله ﷺ وقد قتل أبوها وأخوها وابنها فى سبيل الله فى الغزاة . وهى تبكى فقال لها النبى ﷺ ما الذى أصابك قالت فقدت رجالى قال اصبرى ولك الجنة قالت والله لا بكيت بعد هذا اليوم إن كان لى الجنة . وإن فى نساء هذا الزمان خمس وجوه وشق جيوب ونتف شعور ومزامير الشيطان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الأصوات إلى الله تعالى صوتان صوت نائحة عند المصيبة . وصوت مزمار فى فرح . وليس أحد يذنب أحدا إلى الميت يعذب ببكاء الحى وبكاء أهله إذا قالوا . من لنا بعدك وإذلنا فتضربه الزبانية على كل كلمة ضربة تقطع مفاصله . وتقول له الزبانية أنت ناصرهم ورازقهم ؟ فيقول لا . يارب أنى كنت ضعيفا وأنت ترزقنى وإياهم سبحانك لا إله إلا أنت فيقول الله تعالى إنما عاقبتك لأنك

لم تنههم عن هذا الفعل . وقال رسول الله ﷺ تجعل النوائح صفين صفا عن يمين أهل النار وصفا عن شمالهم ينبحون كما تنبح الكلاب .

وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع امرأة تنوح فضربها بالدرة حتى انكشف خمارها فقيل يا أمير المؤمنين أما لها من حرمة ؟ فقال لا لأن الله تعالى أمر بالصبر ونهى عن الجزع وتأمر به وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعاء الجاهلية » .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من قبل الله تعالى من له دين على الله تعالى فليقم فيقول الخلق ومن له دين على الله تعالى فتقول الملائكة من ابتلاه الله تعالى بما يحزن قلبه فصبر محتسباً لله تعالى يقوم يأخذ أجره من الله تعالى فيقوم خلق كثير من أهل البلاء فتقول الملائكة ليست الدعوى بلا بينة أرونا صحائفكم فمن وجد فى صحيفته سخط أو كلام قبيح يقولون له أقعد ما أنت من الصابرين ثم يفعل بالنساء كذلك وتأخذ الملائكة الصابرين من الرجال والنساء إلى تحت العرش فيقولون ربنا هؤلاء عبادك الصابرون فيقول الله تعالى : ردوهم إلى شجرة البلوى فيردوهم إلى شجرة أصلها من ذهب وأوراقها ظلل وظلها يسير الراكب فيه مائة سنة فيجلسون تحتها ويتجلى عليهم سبحانه وتعالى ويسلم عليهم واحدا بعد واحد ، وواحدة بعد واحدة ثم يعتذر الرجل ويقول : ياعبادى الصابرين ما أبليتكم لهوانكم على إلا لكرامتكم عندى أريد أن أحط عليكم البلاء لكثرة ذنوبكم وأوزاركم لأبلغكم بها درجات عالية ماتصلون إليها بأعمالكم فصبرتم لأجلى ، واستحييتم منى ولم تسخطوا بقضاء فأنا استحى منكم لا أنصب لكم ميزانا ولا أنشر لهم ديواناً « يوم يوفى الصابرون

أجرهم بغير حساب ، ثم يعتذر الله سبحانه إلى الفقراء ، ويقـــول ياعبادى ما ابتليتـكم بالفقر لهوانـكم على ولا لعزة الدنيا عندى ولـكن قضيت أن كل من أخذ من الدنيا شيء أحاسبه عليه وأسأله من أين اكتسبه وفى أى شيء أخرجه فأحببت لـكم الفقر ليخاف عذابكم وحسابكم وتتوفوا نصيبكم موفورا فمن سقاكم وأطعمكم وكساكم فهو فى شفاعتـكم ثم يعتذر سبحانه إلى امرأة فقـــدت أولادها وصبرت .

يقول الله تعالى : يا أمتى لولا قضيت أجل ولدك فى اللوح المحفوظ لما كنت أوجعت لك قلبا ولا ضيقت لك صدرا فابشرى اليوم برضائى وجمع الشمل فى دار لا موت ولا وجل ولا هم ولا حزن ثم يعتذر سبحانه إلى أهل العمى والحزن والزمن والبرص والجذام وسائر الأمراض فيفرحون غاية بما حصل لهم من الأجر العظيم ثم يعقد لهم رايات وصناجق ثم صناجق الأمراء فمن صبر على نوع من البلاء عقدت له راية ثم تأخذهم الملائـكة على النجائب والرايات بين أيديهم وهم سائرون إلى الجنة فينظر الله إليهم فيقولون هؤلاء شهداء أو أنبياء فتقول الملائكة هؤلاء قوم صبروا على الشدائد فى الدنيا فبصبرهم نالوا هذا فتقول الناس ياليتنا وقعنا فى الشدائد والبلاء فى الدنيا وقرضت لحومنا بالمقاريض وكان لنا مع هؤلاء نصيب ، فإذا وصلوا إلى باب الجنة قال لهم رضوان . من هؤلاء القوم الذين لم ينصب لهم ميزان ولم ينشر لهم ديوان ؟ فتقول الملائـكة هؤلاء الصابرون ليس عليهم حساب فافتح لهم ليقعدوا فى قصورهم آمنين قال فيدخلون إلى منازلهم فتلقاهم الخدم والولدان بالفرح والتـكبير والتهليل فيجلسون على شراريف خمسمائة عام يتفرجون على حساب الحق فطوبى للصابرين .

قال الله تعـالى : (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا : إنا لله

وإنا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال . ليس كل الناس يجدون الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف ما يجد الصراط على هذا الوصف إلا الهالك إنما يجدون الصراط على قدر أعمالهم فمنهم من يجده ذراعا . ومنهم من يجده شبرا . وهكذا حتى يجده بعضهم أدق من الشعرة وأحد من السيف . وذلك لمن لا صبر له ولا دين . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات الولد عرجت الملائكة بروحه إلى السماء فيقول الله تعالى . ياملائكتى كيف تركتم أمتى وقد أخذتم ولدها وثمرة فؤادها وهو أعلم . فيقولون : ياربنا تركناها صابرة على قضائك شاكرة على نعمائك فيقول الله ابنوا لها بيتا من ذهب تحت عرشى وسموه بيت الصبر .

وفى رواية بيت الحمد . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صبر على فقد واحد من الأولاد كان له من الأجر كجبل أحد . ومن صبر على فقد اثنين أعطاه الله تعالى نوراً يسمى بين يديه . ومن صبر على فقد ثلاثة غلقت عنه أبواب النيران . ومن صبر على فقد بصره كان أول من ينظر إلى وجهه الله تعالى . ومن صبر على اثنين بنى الله له بيتاً تحت العرش فيه من النعيم مالا يصفه إلا الله تعالى ، ومن صبر على الغسل والوضوء احتراما لأجل الصلاة كتب الله له بكل شعرة حسنة ويخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة ملك يسبح الله تعالى إلى يوم القيامة وأجر تسبيحه له ومن صبر على أذى الناس كف الله تعالى عنه أذيتهم وأذى جهنم ودخانها . ولجهنم باب اسمه التشفى لا يدخل منه إلا من شفى غيظه ومن عفى وترك حقه لله تعالى كان حقا على الله أن يغلق عنه ذلك الباب ، ومن

قال عند فقد الأولاد الصغار : (إنا لله وإنا إليه راجعون) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم صلى الله عليه ورضى عنه وكان الولد ذخراً ليسقيه من الحوض يوم العطش الأكبر ، وكما لا يحسن السخط على الله تعالى عند تصرفه فى ملكه فإن الملك لله يفعل مايشاء .

قال رسول الله ﷺ يقـــوم الناس من قبورهم جياعا عطاشا فمن كان له صيام لله تعالى بعث الله تعالى إليه موائد الطعام ويأتيه صومه فيزاحم الناس على الحوض حتى يسقيه ومن كان له ولد قد مات دون البلوغ فعل به كذلك أو كان صبر على فقده لم يسخط على الله تعالى فإن أطفال المسلمين حول الحوض وعليهم أقبية الديباج ومناديل من نور وأيديهم أباريق الفضة وأقداح الذهب وهم يسقون آباؤهم وأمهاتهم إلا من حراب الله تعالى أى جزع ولم يصبر .

وقد روى فى الخبر أن أطفال المسلمين يجتمعون فى موقف القيامة فيقول الله سبحانه وتعالى اهبطوا بهؤلاء إلى الجنة فتقول لهم الخزنة مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون أين آباؤنا وأمهاتنا فتقول لهم الخزنة إن آباءكم ليسوا مثلكم إن عليهم ديونا ومطالبات فهم يحاسبون عليها فيقولون قد صبروا على فقدنا رجاء لثواب هذا اليوم قال فيضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله تعالى وهو أعلم ماهذه الضجة فتقول الملائكة ياربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا وأمهاتنا فيقول تعالى : تخللوا الجميع وخذوا بأيدى آبائكم وأمهاتكم وادخلوا بهم الجنة فطوبى للصابرين وياخيبة المسخطين ماذا يلاقون من الخسارات فكونوا ياعباد الله صابرين وعلا البلاء شاكرين ، وقولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون ولا تجزعوا عند مصائبكم ولا تنوحوا على موتاكم وأبكوا على أنفسكم عسى أن ترحموا

ميتكم وتدخلوا جنة ربكم فإن الميت يعذب ببكاء أهله بكاء ليس برحمة ، وإنما هو بكاء جزع وشدة فيعذب من أجل ذلك عذاباً شديداً نعوذ بالله من ذلك .

وقد حكى أن بعض الصالحين كان يحفر القبور للأموات ويبات عندهم ويقرأ لهم سورة الإخلاص ، ويهدى ثوابها إليهم فدفن يوما ميتا لبعض المحتشمين ، وبات تلك الليلة فى المقابر وكانت ليلة جمعة فحصلت له سنة من النوم فرأى فى منامه كأن المقابر قد انشقت وخرجوا أهلها وجلسوا على القبور حلقاً حلقاً وهم فى فرح وسرور ورأى أطباقاً نزلت من السماء مغطية بمناديل من السندس الأخضر وفيها من ألوان الطعام ، فصاروا يأكلون منها قال فتقدمت إليهم وسلمت عليهم فردوا على السلام ، وقالوا مرحبا بك وأهلا وسهلا ياصالح ياحفار قال : فقلت لهم : وأنتم تعرفونى ؟ فقالوا أى والله نعرفك ونسمع خفقان نعالك من حين تدخل المقابر ويصل إلينا ثواب قراءتك قل هو الله أحد فبالله لا تقطعها عنا ياصالح ياحفار فإننا نرحم بها ، واعلم أنك قد زرتنا قال : فقلت لهم : وما هذه الأطباق التى نزلت لكم من السماء ؟ فقالوا هذه الهدايا تأتينا من أهلنا الأحياء فى دار الدنيا كل ليلة جمعة .

قال فتقدمت وتخللت القبور وإذا بشاب جالس على شفير قبره وهو حزين يبكى مغلول اليدين والرجلين إلى عنقه ، وهو فى أسوأ حال وأشد وبال وهو مما فيه مضرور ، وقد غابت عنه أيام السرور فتقدمت إليه وقلت له حبيبى مالى أراك فى هذه الحالة الشنيعة بين إخوانك الأموات وأراك فى هم وحزن ، وهم فى فرح وسرور فقال لى يا صالح ياحفار من كانت له والدة مثل والدتى لحاله كحالى

قد سودت الدار بعدى وأقامت النوائح والمآتم ليلا ونهاراً فبالله عليك إذا أصبحت فامضى إليها وسل عنها فى المحل الفلانى فى حارة تعرف بحارة الزعفران فادعها فإذا خرجت إليك فقل لها بئس ماصنعت بابنك فلان ويقول لك ربيتينى صغيرا وأحسنت إلى كبيراً فلما مت تركتينى ولأيدى الزبانية أسلمتينى وبأنواع العذاب عذبتينى آه يا أماه لو رأيتنى والغل فى يدى والقيد فى رجلى وملائكة العذاب تستلمنى لكنت ترحمينى فهذا فضل منك قال صالح فانتبهت فزعاً مرعوبا من شر ما رأيت ثم لما صليت الصبح لم يكن لى هم إلا أم الغلام ، فتوجهت نحو المحل الذى قال لى عليه فسألت عنها وعن منزلها فدللت عليه فلما وقفت به إذا بالباب مسود وصوت النائحة من داخل المنزل وبكاء وصراخ فطرقت الباب فخرج إلى شخص وقال مابالك ! فقلت لى حاجة عند أم الغلام فجاءت إليه وإذا هى مخرقة أثوابها مسودة وهى كما قال الغلام فقالت لى ماشأنك فإنى مشتغلة بهمى وحزنى ؟ فقلت أنى رسول من عند ولدك إليك فلما سمعت ذلك وقعت على الأرض مغشية عليها فلما أفاقت قالت يا هذا أو صارت الأموات يرسلون رسولا قلت نعم : ثم حدثتها بما قال عليه ولدها فتابت إلى الله تعالى وأخلصت التوبة ثم قلعت ماكان عليها من ثياب الحزن ولبست غيرها وأخرجت النوائح من بيتها وأزالت ماعلى الباب من سواد وغيره ، وأخرجت له كيسا من الدراهم وقالت تصدق بهذا على ولدى عسى الله تعالى أن يرحمه بذلك فمضيت من عندها وتصدقت عليه كما أمرت فلما كان ليلة الجمعة الثانية مضيت إلى المقابر على عادتى فأخذتنى عينى فرأيت فى منامى الأموات . وقد خرجوا من قبورهم كالأول ثم مشيت بين القبور . وإذا بالشاب جالس على قبره فى فرح وسرور فتلقانى ورحب بى .

وقال لى جزاك الله عنى خيرا بما صنعت معى ولكن بالله عليك إذا صبحت فامض لوالدتى وقل لها ولدك يسلم عليك ويقول لك جزاك الله خيرا بما صنعت مع ولدك. وقد تقبل الله منك صدقتك وجزاك الله خيرا . وقل لها أنك عنده عن قريب قال فانتبهت ومضيت إلى أمه فوجـــدت نعشا ملقى على الباب وإذا بصياح من داخل المنزل فسألت عن ذلك فقالوا : أم الغلام التى جئت لها عن قريب قد ماتت فجهزناها ودفناها إلى جانب الغلام رحمها الله تعالى وانتهى .

الباب الثامن

فى عقوبة مانع الزكاة

قال الله تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة واركعوا مع الراكعين) وفى الخبر أن الله تعالى قرن ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فلا يقبل الله واحدة منهم إلا بأختها ، قال الله تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتو الزكاة . وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) . فالصلاة والزكاة مقرونتان معا لا يمكن الإتيان بأحداهما وترك الأخرى فقد حث الله تعالى على الزكاة وشدد العذاب على تاركها قال تعالى (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون .

قال رسول الله ﷺ : إذا ملك المسلم نصابا من الذهب وهو عشرون مثقالا لزمه أن يزكيه بنصف مثقال . وهو ربع العشر وكلما زاد على النصاب فبحاسبه ولا يلزمه زكاة حتى يحول عليه الحول فى يده فإن لم يزك صارت كلها مسامير من نار فى لحمه يوم القيامة كما قال تعالى فى الآية الشريفة المتقدمة .

وقال رسول الله ﷺ . من ملك نصابا ولم يزكه جاء يوم القيامة فى صورة ثعبان وعيناه تتوقد ناراً وأسنانه من حديد فيجرى خلف مانع الزكاة ، ويقول له أعطى يدك البخيلة فيهرب مانع الزكاة . وأين الهرب من الذنوب فيلحقه فيقطع

يده اليمنى بأسنانه ويبلعها ثم تعود كما كانت ثم لا يبرح يقطعها وهى تعود حتى يقف بين يدى الله مقطوع اليدين فيحاسبه حساباً شديداً ثم يأمر به إلى النار فيحسبه ذلك الشعبان حتى يلقيه فى النار ويقول له أنا مالك الذى بخلت به أى الزكاة فأنا عدوك إلى الآبد إلى أن يعفو الله عنك وتسامحك الفقراء .

وقال رسول الله ﷺ والذى نفسى بيده مامن عبد ملك غنما أو بقراً أو جمالا ولم يزكها إلا جاءت يوم القيامة أقوى ما كانت عليه وأشد بطشا لها قرون من نار فتنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها ، وهو يستغيث فلا يغاث ثم تصير سباعاً وذئاباً تعاقبه فى النار .

وروى بعضهم قال : كنت فى شبابى مانع الزكاة . وكانت لى غنم ما كنت أخرجت زكاتها فجاءنى فقير فشكا لى من الحاجة والضرورة فأعطيته منها كبشاً فنمت تلك الليلة فرأيت فى المنام كأن الغنم جميعاً قد أقبلت تهم على وتريد أن تنطحنى وأنا لا أقدر على الهرب ولا أجد أحداً يغيثنى فجاء ذلك الكبش الذى تصدقت به فصار يردهم عنى كلما جاء كبش يريد أن ينطحنى وقف بينى وبينه يتلقى بنفسه عنى فغلبوه لأنهم كثيرون وهو وحده فانتبهت وكاد قلبى أن ينقطع من الفزع فقلت والله لجعلت أتباعك كثير فتصدقت بثلث غنمى وتبت من منع الزكاة ولقد رأيت عجباً من شفقة ذلك الكبش الذى تصدقت به ومن عداوة الباقى .

وقال رسول الله ﷺ مكتوب على باب الجنة أنت حرام على البخيل ومانع الزكاة والديوث .

وقال ﷺ من أدى زكاة ماله تامة وافية بطيب نفس سمى فى سماء الدنيا كريما ، وفى الثانية جوادا ، وفى الثالثة مطيعا ، وفى الرابعة باراً ، وفى الخامسة مقبولا ، وفى السادسة محفوظا ماله ، وفى السابعة مغفورة ذنوبه ، ومن لم يؤد

زكاة ماله سمى فى سماء الدنيا يتيما ، وفى السماء الثانية بخيلا وفى السماء الثالثة ممسكا ، وفى السماء الرابعة مقترا وفى السماء الخامسة عاصيا ، وفى السماء السادسة منزوع البركة لا حفظ لماله فى بر أو بحر ، وفى السماء السابعة مطرودا وصلاته مردودة لا يقبل الله منه شىء منها .

وروى أن شاباً حسن الثياب دخل على داود عليه السلام يسلم عليه ليلة عرسه وكان ملك الموت جالسا عنده فقال لسيدنا داود عليه السلام إنه قد بقى من عمر هذا الشاب ستة أيام فضاق صدر داود عليه السلام لذلك ، وبقى يتفقد ذلك الشاب . قال : فانقضت أشهر ولم يمت الشاب قال فجاء ملك الموت يزور سيدنا داود عليه السلام وعلى عادته فقال له أنت قلت إنه قد بقى من عمر الشاب الذى رأيته عندى بالأمس ستة أيام وقد مضت عليه سبعة أشهر ولم يمت فقال : لما فرغت الستة أيام مددت يدى لأقبض روحه فقال لى ربى جل وعلا دع عبدى فإنه تصدق ذات ليلة بصدقة فلقى فقيرا مضروراً فأعطاه ففرح بها ودعا له وقال طول الله عمرك وجعلك رفيق داود وجليسه فى الجنة ، وقد كتب له الستة أيام بستين سنة وزيادة عشرين لا تقبض روحه إلا بعد ذلك وقد كتبته جليس داود عليه السلام فى الجنة ، فسبحان الكريم الذى يعطى الكثير على الشىء القليل لا إله إلا هو الكريم الوهاب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ينزل من السماء كل يوم اثنان وسبعون لعنة ، لعنة منها على اليهود والباقى على مانع الزكاة فكل مال لا يؤدى زكاته فصاحبه خبيث وصاحبه شيطان ، وكل مال يؤدى زكاته فصاحبه حبيب الرحمن وناج من العذاب وداخل فى نعيم الجنان ، كل مال يؤدى زكاته إذا مات صاحبه ووقع فى يد غيره زكاة أو لم يزكه لا تزال الملائكة تكتب له الحسنات إلى

يوم القيامة وما من عبد أدى زكاة ماله بطيب نفس إلا جاءت عقداً من نور في عنقه يبرق على المؤمنين يوم القيامة حتى يمشي في نوره على الصراط ويدخل في الجنة وما من عبد منع الزكاة إلا جاءه ماله يوم القيامة طوقاً من نار في عنقه لو أن ذلك الطوق وضع على الأرض لأحرق الدنيا ومن عليها وتقطعت جبالها ويبست ثمارها ، ونشفت بحارها . نعوذ بالله تعالى من ذلك ومن مخالفة الرحمن ونسأله القبول والغفران والفوز بالجنات . والنجاة من النيران (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) . والحمد لله رب العالمين . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وسنذكر جملة وجيزة مما ورد في فضل الصدقة من الآثار والأخبار فقد ورد أن الصدقة تمحو الخطيئة كما أن الماء يطفي النار ، وخصصت الصدقة بذلك لتعدى نفعها ولأن الخلق عيال الله تعالى . وهي إحسان إليهم ومن المعلوم بالضرورة أن العادة جرت أن من أحسن إلى عياله شخص فقد أطفأ غضبه فإذا أطفأ الخطايا تنور القلب وصفت الأعمال وزكت . فلهذا كانت الصدقة عظيما لغيرها من الأعمال .

وقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال يارسول الله أي صدقة أعظم أجراً ؟ قال إن تصدقت صحيح شحيح تؤمل الغنى وتخشى الفقر . ولا تدع حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا وكان لفلان كذا أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة . وفي رواية أبي داود وأنت صحيح حريص تؤمل البقاء ، تخشى الفقر . وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فصيله أخرجه الشيخان .

وروى أن رجلا كان في زمن سيدنا سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ،

وكان فى داره شجرة فأومأت إليها ورشانة وأخـــذت فيها فراخها . وقالت له زوجته : أسألك أن تصعد إلى تلك الشجرة بالفراخ لتطعم الأولاد أيام ، ففعل لها ذلك فشكت الورشانة إلى سيدنا سليمان عليه السلام وقصت عليه القصة فدعا سيدنا سليمان الرجل وأوعده بالعقوبة فقال الرجل لا أعود ثم اتخذت الورشانة فى الشجرة فراخا على عادتها فقالت المرأة لزوجها مثل ماقالت له أولا فقال لا أفعل فإن سيدنا سليمان عليه السلام نهانى عن ذلك قالت له . أتظن أن سيدنا سليمان يتفرغ لك أو إلى الورشانة وهو مشغول بملكه وسلطنته قال ولم تزل به حتى صعد وأنزل الفراخ فعادت الورشانة إلى سيدنا سليمان عليه السلام وأعلمته بذلك فغضب ودعا شياطين أحدهما من المشرق والآخر من المغرب وقال لهما إلزمان الشجرة فإذا عمد الرجل إلى أخذ الفراخ فخذوا برجليه وليلق كل منكما شقه بالمكان الذى أتى منه فذهب الشيطانان فلزما الشجرة فلما أفرخت الورشانة عمد الرجل أن يصعد ووضع رجله على الشجرة وإذا بسائل على الباب فأمر امرأته أن تعطيه شيئاً فقالت ليس عندى شيء فرجع الرجل فوجد لقمة من شعير فدفعها للسائل ثم صعد الشجرة ونزل بالفراخ فرجعت الورشانة إلى سيدنا سليمان وأخبرته بذلك فغضب غضبا شديداً ودعا بالشيطانين فقال عصيتمانى فقالا : ماعصيناك وإنا لزمنا الشجرة فلما صعد جاء إلى بابه سائل فأعطاه لقمة من شعير ثم عاد وصعد فابتدرنا إليه لنأخذه إذ بعث الله تعالى ملكين أخذ أحدهما بعنق صاحبى فألقاه فى مطلع الشمس ، وأخذ الآخر بعنق فألقانى مغرب الشمس ، وما نجا الرجل إلا تلك الصدقة .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة تطفىء غضب الرب وتدفع ميتة السوء ، وقال عبد الله الحسين بن الدامغانى بلغنى أن القحط وقع فى بنى إسرائيل

فدخل فقير سكة فيها بيت الغنى فقال تصدقوا على لوجه الله تعالى قال أخرجت إليه بنت الغنى خبزا حاراً من التنور فجاء أبوها فقال للفقير من دفع لك هذا ؟ فقال ابنة من هذا البيت فدخل الغنى منزله فأخذ السكين فقطع يد ابنته ، فأراد الله وحول حاله إلى الفقر وافتقر ومات فى فقره وافتقرت ابنته هذه فكانت تسأل الناس وهى جميلة فوقفت على شاب غنى تسأل منه شيئا لله تعالى فلما رآها استحسنها فتزوج بها وزينتها له والدته وأدخلته عليها وقدمت لهما مائدة الطعام فأخرجت يدها اليسرى لتأكل بها فقال الشاب : سبحان الله قد كنت أسمع أن الفقراء لا أدب لهم أخرجى يدك اليمنى قال فأخرجت اليسرى ثانيا فرد عليها ثلاث مرات وهى تخرج اليسرى ، وقد أخذها الحياء الشديد فهتف بها هاتف يقول لها أخرجى يدك اليمنى فقد ردها الله تعالى عليك ببركة تلك الصدقة التى تصدقتى بها سابقا ، قال فأخرجت يدها اليمنى فإذا هى صحيحة بإذن الله تعالى وأكلت معه .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن صدقة السر تطفىء غضب الرب وإن صلة الرحم تزيد العمر وإن صنائع المعروف تق مصارع السوء وإن قول لا إله إلا الله تدفع عن قائلها تسعة وتسعين باباً من البلاء أدناه الهم واعلم أن الجود والسخاء من أعظم المكاسب خصوصاً إذا جاد بما عزم عليه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . تجافوا عن ذنب للسخى فإن الله أخذ بيده إذا عثر ويفتح إذا افتقر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالجود والسخاء خصلتان عظيمتان لا ينالهما إلا من وفقه الله تعالى وأراد له خير الدنيا والآخرة سيما إذا كان الجود والسخاء من أطيب المكاسب وأعزها إلى الله تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ، ويستحب إخفاء الصدقة لأنه أقرب

إلى قبولها من الله تعالى وأن تعطى باليد اليمنى ، وقال صاحب كتاب المستطرف : قيل إن الجود والسخاء والإيثار كلهم خير كثير وقيل من أعطى من ماله البعض وأمسك البعض فهو صاحب جود ومن أعطى الأكثر وأمسك القليل فهو صاحب جود ومن أعطى الجميع ولم يبق له شيء فهو صاحب إيثار ومن عجيب ماذكر فى الايثار ماحكاه الإمام أبو محمد الأزرى رحمه الله تعالى : قال احترق المسجد بمصر وظن المسلمون أن النصارى أحرقوه ، فأحرقوا خاناتهم فقبض السلطان على جماعة ممن أحرقوا الخانات وكتب رقاعا فى بعض بالقتل وفى بعض بالقطع وفى بعض بالجلد ثم نثرها عليهم فمن وقع له رقعة فعل به ما فيها قال فوقعت رقعة بالجلد ثم نثرها عليهم فمن وقع له رقعة فعل به مافيها قال فوقعت رقعة فيها القتل بيد رجل فقال والله ماكنت أبالى لولا أم لا يهدأ لها قرار بعدى ولا تحتمل قتلى وكان بجانبه بعض الفتيان فسمعه وهو يقول ذلك فقال أنا وقعت لى رقعة فيها الجلد فقط وليست لى أم فخذ رقعتى هذه وأعطنى رقعتك قال ففعل فقتل ذلك الفتى ومات وتخلص هذا من القتل وجلد فقط هذا هو الذى يسمى إيثار وما أظن أحداً فيما أعلم من أهل هذا الزمان أن يفعل هكذا مطلقا فنسأل الله تعالى أن يعافينا من بلائه وأن يحشرنا فى جملة أحبائه أنه جواد كريم رءوف رحيم .

وقيل لقيس بن سعد هل رأيت أحداً أسخى منك لأنه كان سخيا كريما فقال : نعم رأيت من هو أسخى . وذلك أننا كنا سائرين يوما من الأيام إذ نزل مطر شديد عم الأرض التى نحن بها فنزلنا بالبادية على بيت امرأة لم يكن زوجها حاضرا بالمنزل فى ذلك الوقت : فلما جاء قالت له إنه نزل ربك ضيوف ، قال : فجاء بناقة فنحرها وسواها وقال : شأنكم والطعام فقلنا نحن ماأكلنا من التى نحرتها البارحة

إلا اليسير ، فقال لنا . ولا أفعل معكم فى كل غداء وعشاء إلا هكذا ، قال فمكثنا أياما والسماء تمطر وهو يفعل معنا فى كل وقت كما ذكرنا فلما انكشفت السماء وأردنا الرحيل ، أخرجنامائة دينار ووضعناها فى بيته وقلنا للمرأة خذى هذه المائة دينار وأدفعها لزوجك واعتذرى لنا إليه اكرمنا غاية الإكرام ونحن خجلة منه ، ثم مضينا فلما ارتفع النهار ونحن سائرون إذ نحن برجل يصيح خلفنا يقول : قفوا أيها الركب اللئام أعطيتمونا ثمن قرانا ثم آوى بسنان الرمح إلينا وقال خذوا دنانيركم وإلا طعنتكم برمحى هذا . قال فأخذنا منه فرجع من خلفنا وانصرفنا وما رأينا أكرم ولا أسخى منه انساناً قط ، فأصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم كلة هو نزاهة النفس عن الحرام وسخاها بما ملكت على الخاص والعام وجميع خصال الخير من فرع الكرم .

ولهـــذا ما سئل رسول الله ﷺ عن شيء وقال لا قط مطلقا ، وصاحب المعروف لا يقع فى سوء قط وإن وقع وجد له متكأ وأكرم العرب فى الإسلام طلحة بن عبدالله رضى الله تعالى عنه فإنه جاءه رجل فسأله عن شيء من المال فقال أن لى حائطاً يعنى بستانا فى مكان كذا وكذا وقد دفنت لك فيها مائة ألف درهم فأختر أيها شئت وقال زياد ابن جرير رأيت طلحة فرق مائة ألف درهم فى مجلس واحد وإنه ليخيط إزاره بيده وكان عبد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهور وله أخبار بالجود يكاد سامعها ينكرها لبعدها عن المعهود وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم فى كل سنة فيفرقها فى النهار ولا يبيت إلا وعليه الدين . وممن رجل بهيمة ثم خرج بها إلى السوق ليبيعها فمر به عبد الله بن جعفر فقال يا صاحب البهيمة أتبيعها ؟ قال لا ولكنها هبة وأعطاها له وتركها وانصرف إلى

بيته فلم يلبث إلا يسير وإذا بالحمالين على بابه عشرين نفراً عشرة منهم حاملون حنطة وخمسة حاملون لحماً وكسوة . وأربعة حاملون فاكهة وبقل وواحد حامل مالا فأعطاه جميع ذلك واعتذر له رحمه الله تعالى ورضى عنه .

ولما مات معاوية قدم عبد الله بن جعفر على يزيد فقال له يزيدكم كان معاوية يعطيك قال كان رحمه الله تعالى يعطيني ألف ألف ، فقال يزيد قد زدناك لترحمك عليه ألف ألف فقيل ليزيد هل أعطيت هذا المال كله لرجل واحد من مال المسلمين ، فقال والله ما أعطيته إلا لجميع أهل المدينة ثم دس يزيد خلفه رجلا وهو لا يعلم لينظر ما يفعل بالمال فلما وصل المدينة فرق جميع المال الذى معه على محاويج المدينة حتى احتاج بعد شهر للدين . فانظر يا أخى إلى هذا الكريم العظيم وكن سخياً ولا تكن بخيلا مذموماً انتهى .

الباب التاسع

فى عقوبة قاتل النفس بغير حق وقاطع الرحم

قال الله تعالى « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما » وقال تعالى : « ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق، ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل إنه كان منصورا » .

وقال رسول الله ﷺ . أعظم الكبائر عند الله قتل النفس فمن قتل نفسا بسكين لا تزال الملائكة تطعنه بتلك السكين فى أودية جهنم إلى أبد الآبد وهو خالد فى النار آيس من شفاعتى وإن ألقى بنفسه من مكان عال حتى يموت لا تزال الملائكة تذبحه بسكاكين من نار وكلما ذبحوه يسيل من حلقه دم أسود من القطران ثم يعود كما كان هكذا أبد الآبد نعوذ بالله من ذلك وكذا المرأة إذا طرحت نفسها قال الله تعالى : « وإذا الموءودة سئلت ، بأى ذنب قتلت ؟ » .

وقال رسول الله ﷺ يأتى الطرح يوم القيامة وله صوت مثل الرعد يستغيث كما يستغيث المظلوم فيتعلق بأمه ويقول يا رب سل هذه لم قتلتنى ؟ فيقول الله تعالى قتلتيه فوعزتى وجلالى ما خلقته إلا ورزقته وقد حرمت قتل النفس إلا بالحق يا ملائكتى سلموها لمالك خازن النار يحبسها فى جب الأحزان فتسلمها الزبانية غلاظ شداد يضعون الطوق والسلسلة فى رقبتها ويغلون يديها إلى عنقها ويسحبونها على وجهها فى النار فيرميها مالك فى جب الأحزان وهو جب عميق فيه نار تسمى

الأنيار إذا أخمدت جهنم بفتح ذلك الجب فتوقد من حره ، وفيه سباع وذئاب وحيات وعقارب تنهش المعذبين والزبانية بأيديهم حراب من نار تطعن القاتلين فنبقى فى ذلك الجب خمسين سنة تعذب حتى يقضى الله تعالى فيها بما يشاء ، نعوذ بالله من غضبه وعقابه .

وقال رسول الله ﷺ : أكبر الكبائر عند الله قتل النفس وإن العصفور إذا عذبه الإنسان ولم يذبحه حتى مات بغير حاجة جاء يوم القيامة وله دوى مثل الرعد يقول . يا رب سل هذا لم عذبنى بغير حاجة ؟ فيقول الله تعالى : أنا آخذ حقك وعزتى وجلالى لأعذبن روح من عذب روحا بغير حق وإلا أنا الظالم إذا لم أستوف للمظلوم من الظالم . ثم يقول الله تعالى أنا الملك الديان لا أظلم اليوم عبدى وعزتى وجلالى لا يجاوزنى ظلم ظالم ولو لطمة بكف أو ضربة بيد على يد ولا فتصن للجماء من القرناء ولا سألن العود لم خدش العود والحجر لم صدم الحجر ولا يدخل الجنة من عليه مظلمة حتى يؤديها من حسناته فإنه لم تكن له حسنات حمل ذنوب المظلومين .

وقال رسول الله ﷺ من أحاطت يده على شيء فليحسن إليه ، فقال رجل: ليس لى زوجة ولا ولد ولا شيء سوى دجاجة واحدة قال له : لو قصرت فى علفها يوماً وأحداً لم تكتب من المحسنين .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : من أمسى وهو تعبان من طلب الحلال ليصرف أهله عن مسئلة الناس أمسى مغفوراً له وقال رسول الله ﷺ خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى ما أكرم الناس إلا كريم ولا أهانهم إلا بخيل ، وفى خبر آخر خياركم ألطفكم كلاما وأكرمكم على الناس .

وقال ﷺ أول ما يحاسب الرجل عن صلاته ثم صيامه وما ملكت يمينه إن أحسن عشرته أو أحسن إليهم أحسن الله إليه ، وأول ما تحاسب المرأة على صلاتها ثم على حق زوجها قالوا : يا رسول الله فلانة صوامة وقوامة إلا أنها تؤذى جيرانها وزوجها بلسانها قال هى من أهل النار ، وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إنى سيء الخلق أؤذى جيرانى وزوجتى وأهل بيتى بلسانى فقال ﷺ . من أذى أهله لا يقبل عند الله عذره ولا عمله ولا صومه ولا صلاته ولو صام الدهر وأعتق الرقاب وكذلك المرأة إذا أذت زوجها فتعاشروا بالمعروف . فإن الله تعالى يسألكم عن بعضكم بعضاً يوم القيامة .

وقال رسول الله ﷺ . يجب على الرجل أن يأمر أهله بالصلاة ، وأن يضربها على تركها .

وقال رسول الله ﷺ الله فى النساء فإنهن أسارى فى أيديكن أخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فأوسعوا عليهن النفقة والكسوة بوسع الله تعالى عليكم .

وحكى أن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام شكى إلى الله تعالى خلق زوجته سارة فأوحى الله تعالى إليه . يا خليلى إنى خلقتها من ضلع أعوج وكذلك جميع النساء إن قومته كسرته فاصبر عليها وأمسكها على ما فيها إلا أن ترى نقصا فى دينها .

وقال رسول الله ﷺ من صبر على خلق زوجته أعطاه الله تعالى مثل ما أعطى أيوب عليه السلام من الأجر والثواب ومن صبرت على خلق زوجها أعطاها الله تعالى أجر من قتل فى سبيله ومن ظلمت زوجها وكلفته مالا يطيق

وأذته لعنها الله وملائكته يعنى ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ومن صبرت على أذى زوجها أعطاها الله تعالى مثل ثواب آسية ومريم إبنة عمران عليهما السلام (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) .

مثل وقوفك يوم الحشر عريانا — مستضعفاً فارغ الأحشاء حيرانا
والنار تزفر من غيظ ومن حنق — على العصاة وتلق الرب غضباناً
فى موقف قد تجلى فيه حاكمه — وقال فيه لمن قد باح طغياناً
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل — وانظر إليه ترى هل كان ما كان
قال الجليل خذوه يا ملائكتى — سيروا به لأليم النار ظمآناً
يا رب لا تخزنا يوم الحساب غدا — وهب لنا منك يا مولاى غفراناً

الباب العاشر

فى حق المرأة على زوجها وعقوبة قاطع الرحم

قال رسول الله ﷺ : يلزم الرجل تعليم أهله وما ملكت يمينه الوضوء ونية التيمم وغسل الجنابة والحيض والنفاس وفرائض الوضوء وسننه واعتقاد أهل السنة وترك الغيبة والنميمة وتوقى النجاسات والصمت عما لا يعنى ، وملازمة الذكر والآدب واجتناب الإثم والسوء ، فإن قصر علمه عن ذلك تعلم ويعلمهم ، وإلا سأل وأخبرهم وإلا تركهم بإذنه يخرجون يتعلمون ذلك ولا يحل للرجل أن يمنع أهله مقاماً يسمعن فيه كلام الله تعالى ورسوله ليعرفن أمور دينهن ويحذرن دخول النار فإن رسول ﷺ قال : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . يعنى فرائض الدين ، ويلزم الرجل أيضاً القيام على زوجته وأولاده وما ملكت يمينه من طعام وشراب وكسوة ومسكن وجميع الأحوال ، ويكون ذلك كله حلالا ، ولا يحل له التفريط فى شىء من ذلك بوجه من الوجوه .

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) .

وقال رسول الله ﷺ : (كلكم راع وكل راعى مسئول عن رعيته ، وقال عليه الصلاة والسلام : لا يلقى الرجل ربه بذنب أعظم من جهالة أهله ، يقال : أول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة أهله وأولاده يقولون : ربنا خذ لنا حقنا من هذا الرجل فإنه لم يعلمنا أمور ديننا وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيضرب على كسب الحرام حتى يتجرد لحمه ثم يذهب به إلى النيران رائحاً بحسناته فيجىء غرماءه

ويقولون هذا وزن لنا ناقصاً فيأخذ له من حسناته حتى يستوفى حقه ثم يجىء هذا وهذا حتى لا يبقى معه من حسناته شىء ثم يلتفت إلى أهله فيقول ما تقلدت المظالم إلا لأجلك حتى لا يبقى معه شىء من الحسنات وقد احتار فى أمره وما تنفعه الحيرة. قال فتنادى الملائكة : هذا الذى أكلت حسناته أهله ثم مضى من أجلهم إلى النار فنعوذ بالله تعالى مما يوجب النار ويورث غضب العزيز الجبار فيجب على كل إنسان أن يجتنب الحرام ، وأن يحسن إلى أهله وأولاده ويطعمهم الحلال ، وأن يعلمهم أمور دينهم وأن يبقى لهم فيما يحسنه الأنام ، ويرضى الملك العلام ، ويسكن به هو وإياهم أعلا المقام فى دار السلام ، واعلم أن فى صلة الرحم فوزاً عظيماً وأجراً جسيماً ، وفى قطعها العذاب العظيم والعقوبة الشديدة كما ورد عن سيد المرسلين أنه قال : صلة الرحم تزيد فى العمر وتوسع فى الرزق ، أن الرحم تتعلق بالعرش وتقول يا رب ، فيقول الله تعالى : (لأصلن من وصلك ولأقطعن من قطعك) .

وحكى عن بعض الصالحين أنه قال : كان لى صحبة برجل من بلاد العجم ، وكان مجاورا بمكة شرفها الله تعالى ، وكان طول الليل يطوف بالبيت الشريف وفى النهار يقرأ القرآن فأودعته ذهباً فلما رجعت وجدته قد مات ، فسألت أولاده عن الذهب فقالوا : إنه لم يعلمنا به فلقيت مالك بن دينار فحدثته بحديثى وأخبرته بقصته وما أنا فيه من الحيرة العظيمة فقال لى : إذا أنصف الليل من ليلة الجمعة قف عند الركن والمقام ، وصح يا فلان يا فلان فإنه إن كان صالحاً مقبولا عند الله تعالى تجاوبك روحه لأن أرواح المؤمنين تجتمع فيها هناك ليلة الجمعة فى ذلك الوقت فإذا كلمك وسألك ما قصتك فأخبره عن ذهبك فإنه إن كان كذلك فهو يخبرك عنه عاجلا ، قال : ففعلت ووقفت فى ذلك المقام ، وصحت يا فلان يا ابن فلان فلم يكلمنى أحد أصلا فلما أصبحت حدثت صاحبى بالحديث ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون

صاحبك هذا رجل من أهل النار امض إلى أرض العراق فإن فيها بئراً يسمى بئر برهوت تجتمع فيه أرواح العصاة المعذبين وهو على فم واد من جهنم ، ونادى يا فلان نصف الليل فإنه يكلمك ، قال فمضيت إلى تلك البئر كما أمرنى ، وصحت يا فلان فجاوبنى من تحت الضرب والعقوبة والعذاب الشديد ، فقلت له : أين الذهب الذى أودعتك إياه ، فقال هو مدفون فى الموضع الفلانى ، قال فقلت له : يا أخى بأى ذنب استحقيت به هذا العذاب العظيم ؟ قال : بسبب أخت لى وهو أنى كنت أبرها وأزورها ومكثت مدة لم أزورها ولم ترنى فبذلك عذبنى الله تعالى فى هذا البئر هذا العذاب الأليم فبالله عليك تتوجه إليها واطلب رضاها على . ودعها تحاللنى وتدع لى قال فسألته عن مكانها فوصف لى مكانها . ثم تركته ورجعت ولم يكن لى همة إلا الذهب والتوجه إلى أخته فطلبت الذهب فوجدته كما أخبرنى فأخذته وقضيت جميع مصالحى ثم توجهت إلى أرض العجم فى طلب أخته وسألت عنها فلما وقفت عليها أخبرتها بخبر أخيها . وما هو فيه من العذاب الأليم قال فبكت أخته بكاء شديداً ورحمته . وشكت إلى من القلة فوهبتها شيئاً من الذهب الذى معى فرضيت عن أخيها ودعت واستغفرت له ، ثم رجعت إلى مكة شرفها الله تعالى فبت ليلة من الليالى ، فبينما أنا نائم إذ رأيته فى منامى وهو فى موضع حسن ، وهو مستبشر مسرور فأتى إلى وعانقنى ودعا لى بخير فسررت بذلك وحمدت الله تعالى .

فعليك يا أخى بصلة الرحم وافعل المعروف مع كل أحد وإياك إياك وأذية المسلمين فقد ورد من آذى المسلمين فعليه من الذنوب منابت الشعر ، ومما ذكر فى شدة عذاب من يؤذى المسلمين . ما ورد فى ذلك من رواية مجاهد بسنده قال : إن لجهنم ساحلا كساحل البحر فيه هوام وحيات كالبخت وعقارب كالجمال فإذا استغاثت أهل النار قالوا الساحل فإذا ألقوا فيه سلطت عليهم تلك الهوام فت

أشفار أعينهم وشفاههم ، وما شاء الله تعالى منهم لتكشطها كشطا فيقولون النار النار ، فإذا القوا فيها سلط عليهم الجرب فيحك أحدهم جسده حتى يذوب عظمه وإن جلد أحدهم أربعون ذراعاً قال يقال يا فلان هذا يؤذيك فيقول : وأى أذى أشد من هذا فيقال هذا بما كنت تؤذى المؤمنين .

اللهم سلمنا من هذه الأهوال ، يا أخى لا تؤذى المؤمنين ولا تضرهم فقد قال النبي ﷺ لا ضرر ولا ضرار أى فى ديننا وشريعتنا ، ولنذكر جملة صالحة من أنواع الظلم والضرر ليكون الشخص على حذر . فمن ذلك المكوس وأكل مال اليتيم بغير والمماطلة بحق عليه مع قدرته على وفائه ، ومن ذلك أن يظلم المرء فى نحو صداق ونفقة أو كسوة ، فقد ورد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق : هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه قال فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أخيها وأبيها وزوجها وأبيها وزوجها ثم يقرأ فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون. قال فيغفر الله تعالى من حقه ما يشاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئا فينصب العدل للناس ثم يقول الله تعالى : لأصحاب الحقوق . ائتوا إلى حقوقكم فيقول العبد يا رب فنيت الدنيا فمن أين أؤديهم حقوقهم ؟ فيقول الله تعالى خذوا من أعماله الصالحة واعطوا كل ذى حق مقدار ظلمه أيما كان وإن كان ولياً لله وإن كان مثقال ذره ضاعفها الله له حتى يدخل الجنة بها ، وإن كان عبداً شقياً ولم يفضل له شىء فتقول الملائكة ربنا فنيت حسناته وبقى طالبون ، فيقول الله تعالى خذوا من سيئاتهم وضعوا على سيئاته ثم صكوا له صكا إلى النار .

إلى كم ذا التراخى والتمادى ... وحادى الموت بالأرواح حادى
فلو كنا جماداً لاتعظنا ... ولكنا أشد من الجماد

تحاذينـــا المنية كل وقت وما نصغى لقول من منـادى
وأنفاس النفوس إلى انقضاض ولـكن الذنوب لفى ازدياد
إذا ما الزرع قارنه اصفرار فليس دواؤه غير الحصـــاد
كأنك بالمشيب وقد تبـدا وبالأخرى ينـاديها المنـــادى
وقالوا قد مضى فاقروا عليه سلامات إلى يوم التنـــادى

وقال رسول الله ﷺ حرم الله من المؤمن دمه وماله وعرضه ، وأن لا يظن به إلا خيراً ، وقال أيضاً إن أموالـكم وأعراضكم حرام عليـكم ، ومن الظلم والضرر أيضاً عدم إعطاء الأجير حقه ، لقوله ﷺ : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة . رجل أعطى ثم غدر ، ورجل باع شيئاً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً واستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته ، ومن الظلم والضرر أيضاً أن يظلم يهودياً أو نصرانياً بنحو أخذ ماله تعدياً لقوله ﷺ . من ظلم ذمياً فأنا خصمه يوم القيامة ، ومنها أيضاً أن تقطع حق غيرك بيمين فاجرة لما ورد الصحيحين أنه ﷺ قال : من استقطع حق امرىء بيمينه فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة ، قيل يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً ؟ قال وإن كان قضيباً من أراك .

فاحذروا يا إخواننا الظلم وأنواع الضرر وكونوا من دعوة المظلوم على حذر . وقال صلى الله عليه وسلم : اتقوا دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب .

لا تظلمن إذا كنت مقتدرا إن الظلوم على حد من النقم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعوا عليك وعين الله لم تنم

وروى إذا أراد الله بعبد خيراً سلط عليه من ظلمه ، وقال بعض الصالحين :

من رآنى فلم يظلم أحداً ، فقيل له وما السبب فى ذلك ؟ قال : بينما أنا أمشى على ساحل البحر إذا رأيت صياداً ومعه سبع سمكات فطلبت منه واحدة فأبى فأخذتها منه كرها وضربته على رأسه فعضت السمكة إبهامى فأذانى ذلك أذى شديداً وتحيرت فى أمرى مما أنا به من ذلك الألم واتفقت الأطباء على قطعه إن لم يجدوا لذلك دواء مطلقاً فقطعته فلما قطعته وقعت الأكلة فى كفى وسائر عضدى وحصل لى من ذلك ألم شديد ، فخرجت أسير فى الأرض على وجهى فلم أجد لى ملجأ مما وجدته من الألم وأردت قطع يدى أيضاً فأويت إلى شجرة فى الطريق فنمت تحتها ، فقيل لى فى المنام لأى شىء تقطع يدك يا هذا أردد الحق إلى أهله فانتبهت فزعاً مرعوباً وقمت مسرعاً إلى الصياد ، وقلت له : إنى أخطأت معك بالأمس ولا عدت أعود فسامحنى .

فقال لى الصياد : ما أعرفك أبداً فقصصت عليه القصة وعرفته فعرف بذلك ، وتضرع إلى الله ، وحاللنى فقمت قائماً والدود يتناثر من عضدى وأنا قائم على قدمى وسكن الوجع عنى بإذن الله تعالى : فقلت له : يا أخى لما أخذت منك السمكة غصباً بأى شىء دعوت به على ؟

فقال : لما ضربتنى وأخذت السمكة نظرت إلى السماء وقلت : اللهم إنى أسألك أن تجعله عبرة لمن يراه من خلقك ، وقيل أوحى الله إلى داود عليه السلام يقول له: يا داود كم تنادى أن لا يجمع بينك وبين خصمك يوم القيامة ، وعزتى وجلالى لأوقفنك مع خصمك أريكما يوم القيامة مقاماً ترتعد منه الأرض ، وتنكس الملائكة أجنحتها ، ولا يجاوزنى ظلم ظالم .

وقيل أن نملة دبت على ذيل ثوب سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام فغضب من ذلك وأخذها وألقاها فى الأرض فنادت النملة من شدة الألم وقالت يا نبى الله

ما هذه السطوة أما علمت إنى عبدة من أنت عبده أظهرت قوتك على ضعفى وهو مطلع على ما فعلت وما تخفى عليه خافية فكن على صحة لجواب السؤال عن ظلمى فقد أوهنت جسمى قال فهبط الأمين جبريل عليه السلام ، وقال يا نبى الله : إن الله يقرئك السلام ويخصك بالإكرام ويقول لك : وعزتى وجلالى لأن لم تطلب العفو منها لأطالبنك يوم القيامة بها .

وحكى أن بعض الملوك بنى قصراً وشيده ثم خرج يدور حوله فينظر إلى بابه ، وكان بجانب القصر عجوز لها قصر ، وكان الملك قصدها فى شرائه منها ليجعله من داخل القصر فأبت بيعه له فقال الملك وأين هى ؟ فقالوا له : إنها ليست حاضرة فى هذا الوقت فقال اهدموه فهدموه فى أسرع وقت ، قال فلما جاءت العجوز وجدت بيتها خراباً فرفعت طرفها إلى السماء وقالت إلهى أنا كنت أينما كنت فهدموا بيتى واستضعفونى ، أسألك اللهم أن تهدم هذا القصر وأن تجعله عبرة للناظرين ثم بكت لبكائها ملائكة السماء . قال : فأمر الله تعالى بهدم القصر بما فيه على من فيه إن ذلك لعبرة لمن يخشى .

وقيل أوحى الله إلى داود عليه السلام يا داود قل لبنى إسرائيل من ظلم امرأة أو صبية أو من لا يعقل بحبة من الميزان كويته بمقدارها فى النار وعزتى وجلالى لأوقفن الخصمين موضع الخصوم ولأحضرنهم يوم القيامة ولأسألنهم عن الفتيل والنقير والقطمير . والأبكم من عمى عن حجته . ما فرطت فى كتابى ولا فرطت فى رسلى ولقد أتت بما أوحى إليها وأنا الشاهد وكفى بى أعظم الشاهدين .

وقال الحسن رضى الله عنه إنى أذنبت ذنباً فأنا أبكى عليه طول عمرى فقيل له وما هذا ؟ قال زارنى أخ لى فاشتهى سمكا فأتيت به فلما فرغ من أكله قمت

إلى حائط جارى فأخذت قطعة من طين غسلت بها يدى . فأنا أبكى على هذا أربعين سنة .

وحكى أن سيدنا عيسى عليه السلام مر بمقبرة فنادى رجلا من الأموات أحياه الله تعالى له فقال له سيدنا عيسى . ما كنت تفعل فى دار الدنيا ؟ قال كنت حمالا أحمل للناس على رأسى بالأجرة وأتقوت من ذلك أنا وعيالى فحملت ذات يوم لإنسان حطباً فكسرت منه خلالا فتخللت به ، فلما مت أوقفنى الله تعالى بين يديه وقال لى يا عبدى أما علمت أنى موقفك بين يدى ؟ فلانا اشترى حطبا بماله وأعطاك الأجرة على حمله فأخذت منه شظية لا تملكها استهزأت بأمرى ؟ ثم قال لرجل يا روح الله سألتك بالله إلا ما شفعت لى عند الله فإنى فى الحساب من ذلك أربعين سنة .

وقال الحسن رضى الله عنه أن الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول والله ما أعرفك فيقول بل أنت أخذت طينة من حائطى، والآخر يقول بل أنت أخذت خيطاً من ثوبى فهذا وأمثاله يقطع قلوب الخائفين .

وحكى أن حسان بن سفيان رضى الله تعالى عنه ، كان لا ينام الليل ولا يأكل اللحم ولا يشرب الماء بارداً فلما مات رؤى فى المنام فقيل ما فعل الله بك ؟ فقال أنا محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها ولم أردها لصاحبها ، حكاية فى ذكر جهنم وما يقاسون فيها أهلها .

قال ﷺ : لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى الدنيا لا فسدت على أهل الأرض معائشهم فكيف من يكون ذلك طعامه ، وذكر الترمذى من حديث أبى هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : يخرج من عنق النار يوم القيامة وله عينان ينظران

وأذنان يسمعان ولسان ينطق ويقول إنى وكلت بثلاث : بكل جبار عنيد ، وبكل من يدعى مع الله إلهاً آخر ، وبالمصورين .

وقال ﷺ : إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً ، وإن ضرسه مثل جبل أحد ، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة أعاذنا الله من النار ومن غضب الجبار ومن مقام الفجار .

النار منزل أهل الكفر كلهم ... طباقها سبعة مسودة الحفر
جهنم ولظى والحطيم بعدهما ... ثم السعير وكل الهول فى سقر
وتحت ذا سجين ثم هاوية ... تهواهم أبداً فى حر مستعر
فى كل باب عقوبات مضاعفة ... وكل واحدة تسطو على نفر
بها غلاظ شداد من ملائكة ... قلوبهم شدة أقسى من الحجر
فيها الحميم مذيب للوجوه معاً ... للأشقياء شديد الوهج والضرر
فيها الغساق شديد البرد يقطعهم ... إذا استغاثوا يغاثوا ثم يستعر
فيها العقارب والحيات قد ركبت ... جلودهم كالبغال الدهم والحمر
فيها السلاسل والأغلال تجمعهم ... مع الشياطين قهراً جمع منقهر
لهم طعام من الزقوم يعلق فى ... حلوقهم شوكة كالصلب والصبر
سوداء مظلمة قتماء موحشة ... دهماء محرقة لواحة البشر
أعاذنا الله منها ثم عوضنا ... بجنة الخلد بين الروض والزهر

الباب الحادي عشر

فى ذكرى أهوال يوم القيامة

روى عن عثمان بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس عم رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : أنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر وأنا سيد ولد آدم ولا فخر ، ولواء الحمد بيدى والأنبياء كلهم تحت لوائى، وأمتى خير الامم فأول من يجلس قبل الامم أمتى ، وكأنى أنظر إلى أمتى وقد قاموا من القبور ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم يقولون : نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون .

قال ابن عباس رضى الله عنه إن أول من يقوم من قبره يوم القيامة محمد صلى الله عليه وسلم فيأتيه جبريل ومعه البراق وإسرافيل ومعه اللواء والتاج وميكائيل ومعه حلتان من حلل الجنة ، ثم ينادى جبريل عليه السلام أيتها الدنيا أين قبر محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فتقول الأرض ربى جعلنى دكا ذهبت حيطانى ورسوى وجبال فما أدرى أين قبر محمد ؟ فعند ذلك يرتفع عمود من نور من قبر النبى صلى الله عليه وسلم إلى عنان السماء فتقف الأربعة أملاك على القبر ، فينادى إسرافيل أيتها الروح الطيبة ارجعى إلى الجسد الطيب فيتصدع القبر ثم ينادى ثانياً فينشق القبر ، ثم ينادى ثالثاً فإذا النبى صلى الله عليه وسلم واقف ينفض التراب عن رأسه ولحيته الشريفة، وينظر يميناً وشمالا فلا يرى من العمران شيئاً فتجرى دموعه على خدوده فيقول جبريل عليه السلام سر يا محمد فأنت عند الله بالمنزلة الكبرى ، فيقول : يا حبيبى يا جبريل أى يوم هذا ؟ فيقول له يا حبيبى [illegible] هذا يوم القيامة هذا يوم الحسرة.

والندامة هذا يوم العرض على الملك الجبار فيقول يا حبيبي يا جبريل بشرني ، فيقول أما تراني بين يديك ولواء الحمد معقود لك ، فيقول جبريل وعزة ربي ما انشقت الأرض على بشر قبلك فيقول النبي صلى الله عليه وسلم لأشدن اليوم مئزري وأشفع لأمتي ثم يقول له اركب البراق يا محمد وتقدم إلى ربك ، ثم إن جبريل عليه السلام يقدم البراق فينفر فيقول جبريل : أما تستحي يا براق فهذا محمد أمرك الله بطاعته ، فيقول له البراق قد علمت ذلك ولكن أشتهي قبل أن يركبني أن يدخلني الجنة بشفاعته ، فإن رب العزة سبحانه وتعالى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، فيقول النبي صلى الله عليه وسلم ، إن احتجت لشفاعتي شفعت لك ثم يركبه فتخطى به كل خطوة مد البصر فإذا هو بيت المقدس على أرض من الفضة البيضاء ، ثم ينادي إسرافيل عليه السلام ، أيتها الأجساد البالية والعظام النخرة والشعور المتناثرة والعروق المتقطعة قوموا من حواصل الطيور وبطون السباع ولجج البحار وبطون الأرض إلى العرض على حضرة الملك الجبار ، ثم توضع أرواح الخلائق في الصور ، فينفخ إسرافيل الصور وفيه طاقات بعدد أرواح الخلائق فتجلس كل روح في طاقاتها وتمطر السماء على الأرض من بحر الحياة ماء مثل مني الرجال فتنبت العظام ، وتمد إليها العروق وينبت اللحم والجلد والشعر ويبقى بعضهم على بعض جسسا بلا أرواح .

فيقول الله تعالى : يا إسرافيل انفخ في الصور فاحي بإذني أهل القبور ، فمنهم أهل الفرح والسرور ، ومنهم أهل الويل والثبور ، فيصيح : أيتها الأرواح البالية ارجعوا إلى أجسادكم وقوموا للعرض على ربكم .

فيقول الله عز وجل : وعزتي وجلالي لترجعن كل روح تفتش على جسدها

فإذا سمعت اسم الحق تبارك وتعالى خرجت كل روح تفتش على جسدها :

فترجع الارواح إلى أجسادها ثم تنشق الأرض عنهم الأرض فإذا هم قيام ينظرون فيجلس النبى صلى الله عليه وسلم على صخرة بيت المقدس ينظر إلى الخلائق وهم كالجراد المنتشر فتقوم سبعون أمة ، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم أمة واحدة ، والنبى صلى الله عليه وسلم واقف ينظر إليهم وهم يموجون كموج البحار وجبريل ينادى ، يا معشر الخلائق هلموا للعرض على المالك الجبار . فتقبل الامم زمراً زمراً .

وكلما أقبلت الامم يقول النبى صلى الله عليه وسلم : أين أمتى ؟ فيقول جبريل عليه السلام : يا حبيبى يا محمد أمتك آخر الامم فإذا أقبل عيسى عليه السلام نادى عيسى جبريل قف مكانك فيبكى عيسى وجبريل ، فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : ما بالكما تبكيان فيقول جبريل من شأن أمتك يا محمد ، فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : أين أمتى ؟ فيقول قد أقبلوا هؤلاء الغر المحجلين ، فعند ذلك يبكى النبى صلى الله عليه وسلم ويقول : يا جبريل كيف حال المذنبين من أمتى ؟ فيقول انظر إليهم يا محمد ، فإذا نظر إليهم وهم يبكون فيسلم الصالحون منهم على النبى صلى الله عليه وسلم ويهنئونه بما أكرمهم الله ويفرحون بلقائه ، ويفرح بهم النبى صلى الله عليه وسلم ويتلقونه العصاة من أمته وهم يبكون لأوزارهم على ظهورهم ينادون : وامحمداه ، ودموعهم تجرى على خدودهم ، وقد تعلق المظلوم بالظالم فيقول النبى صلى الله عليه وسلم : إلى يا أمتى فيجتمع إليه أمته وهم يبكون ، فبينما هم كذلك إذ نادى مناد من قبل الله تعالى : يا جبريل قل لحبيبى محمد يقدم أمته للعرض على الملك الجبار فليتفت النبى صلى الله عليه وسلم ويقول لهم قد دعيتم للعرض على الله عز وجل ،

قال فيكون المذنبون فزعا من عذاب الله تعالى فيسوقهم النبى صلى الله عليه وسلم كما يسوق الراعى غنمه إلى بين يدى رب العالمين :

غـدا توفى النفوس ما كسبت　　ويحصـد الزارعون ما زرعـوا
إن أحسنو أحسنوا لأنفسهم　　وإن أسـاءوا فبئس ما صـنعوا

ثم يقول الله تعـــالى أنصتوا إلى فطالما أنصت لـكم وأنتم على المعاصى فيسكتون العباد ، فيقول الله تعالى : اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب ، ، اليوم أكرم من أطاعنى وأعذب من عصانى ، يا جبريل انطلق إلى مالك خازن النار وقل له أحضر جهنم ، فيمضى جبريل إلى مالك خازن النار ، فيقول له : يا مالك أمرك الله أن تحضر جهنم فيقول مالك رأى يوم هـذا يوم القيامة فيه تجزى كل نفس بما كسبت ، فيقول ماذا يا جبريل وقد أحضر الله الخلائق ، فيقول نعم ، فيقول وأين محمد وأمته ؟ فيقول وقوف بين يدى الملك الجبار جـل جلالة ، فيقول مالك كيف يسـتطيعون أن يصبروا على حر النـار وزفيرها إذا عبر بها عليهم ، فيقول عليه السـلام لا أعـلم ثم يصيح مالك بالنار صيحة هائلة فتقوم النار على قوائمها ولها قوائم غلاظ شداد طوال ثم تزفز زفرة شديدة فلا تبقى عين من أعين الخلائق إلا قطرت من الدموع فيكون للناس الدماء وتشيب الولدان وتضع الحامل وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولـكن عذاب الله شديد :

إذا برزت ليوم العرض نار　　وقودها النـــاس والحجارة
يفر المرء حقـاً من أخيـه　　وينـكر فى المعـاد من ستزاوه

فلا الخل الرحيم يغيث خلا ولا الجار الشفيق يغيث جاره
وقد برز الجليل لفصل حكم ونشرت الصحائف مستطاره
فيفتضح المسىء بقبح فعل ومن يك محسناً فله مستطاره

قال فأول من يدعى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، فيتعلق بساق العرش وينادى إلهى وسيدى ومولاى أنا خليلك إبراهيم ارحم اليوم شيبى لا أسألك اسحق ولدى ، ولا اسماعيل ولا أسألك إلا نفسى فيقول الله تعالى : هل رأيت خليلا يعذب خليله ، ثم يأتى موسى عليه السلام فيتعلق بساق العرش وينادى لا أسألك إلا نفسى لا أسألك أخى هارون نجنى من هول جهنم ، ثم يأتى عيسى عليه السلام باكياً فيتعلق بساق العرش وينادى إلهى وسيدى ومولاى وخالقى ، لا أسألك إلا نفسى نجنى من هول جهنم ، ثم ترتفع الأصوات بالصياح والبكاء فينادى محمد ﷺ إلهى وسيدى ومولاى لا أسألك اليوم نفسى ولا أسألك ولدى إبراهيم ولا فاطمة بنتى ، إنما أسألك أمتى لا أسألك غيرهم ، فتنادى من هذا الذى يشفع فى أمته وكل نبى يقول نفسى فيقول لها مالك يا نار قرى ، فهذا محمد يشفع لأمته فتقول النار إلهى وسيدى ومولاى أجر محمداً وأمته من حرى ولهيبى وأليم عذابى فإنهم ضعفاء لا يصبرون على ذلك فعند ذلك تجرها الزبانية حتى تنصبها على يسار العرش فتسجد النار بين يدى ربها ثم يقول الله تعالى أين الشمس فيؤتى بها حتى تقف بين يدى الله تعالى فيقول أنت أمرت عبادى بالسجود لك فتقول إلهى سبحانك كيف آمرهم بالسجود وأنا فى رق العبودية فيقول الله عز وجل صدقتى ثم يزاد حرها ونورها .

ت ابن عباس رضى الله عنه فيأخذ الناس العرق حتى يلجمهم وتغلى أد

كغل القـذور والنبي ﷺ قد شد مئزره وفاضت دموعه على خدوده وهو مرة يسجد تحت العرش ومرة يشفع لأمته والأنبياء ينظرون إلى حزنه وبكائه ويقولون سبحان الله ما أتعب هذا النبي الكريم على الله تعالى في شأن أمته :

ما احتيالي إذا وقفت على الله ... وظهري من الذنوب ثقيـل
وينادى الجبار يا من عصاني ... في دجا الليـل والأنام غفول
فـكم سترنا عسى تتوب وما ... تبت بماذا أتيت وماذ تقول
أظننت الحياة تبقى وهيهات ... مالك اليوم للخلاص سبيل
يا إلهى لا راحـــم اليوم إلا ... جنابك فارحم فقد تدانى الرحيل
يا نبي الهـــدى تعطف علينا ... أنت نعم المولى ونعم الرسول

وعن ثابت البناني رضى الله عنه قال دخل النبي ﷺ على فاطمة الزهراء رضى الله عنها فوجدها تبكى فقـال يا قرة عيني ما الذى يبكيك قالت قرأت قوله تعالى وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً فقعد النبي ﷺ يبكى وقال يا قرة لقد ذكرتيني يوماً عظيما تحشر فيه يوم القيامه أمة حفاة عراة عطاشا وأوزارهم على ظهورهم ودموعهم تجرى على خدودهم قالت فاطمة يا أبتاه أفلا تستحى النساء من الرجال .

قال النبي صلى الله عليه وسلم إن في ذلك اليوم كل نفس مشغولة بنفسها أما سمعت قوله تعالى لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه أى يكفيه قالت فإذا لم أجدك عند الحوض قال تجديني على الصراط والأنبياء حولى وأنا أنادى رب سلم أمتى والملائكة تقول آمين قال فينادى المنادى من قبل الله تعالى إن كل أمة يتبعون ما كانوا يعبدون فتمتد جهنم عنقها فتلقطهم كما يلقط الطير الحب وإذا بالنداء من قبل العرش

قد تبعت كل أمة ما كانوا يعبدون فمن هؤلاء الواقفون فينادون نحن أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقال لهم مالكم لا تتبعون ما كنتم تعبدون فيقول ماعبدنا إلا ربنا ولم عبدنا شيئاً سواه ، فيقال لهم هل تعرفون ربكم فيقولون سبحانه ما نعرف لنا رباً سواه ، فإذا دخل أهل النار النارفيسمعون أمة محمد صلى الله عليه وسلم ضرب المقامع وصياح أهل النار وزجرات الزبانية ، يقولون مروا بنا نطلب محمداً صلى الله عليه وسلم فتتفرق الناس ثلاث فرق المشايخ فرقة والشباب فرقة ، والنساء فرقة فيدورون على سائر منابر الانبياء وهى منصوبة فى عرصات القيامة يطلبون منبر النبى صلى الله عليه وسلم وهو أقرب المنابر وأعظمها وأبهاها وإذا بآدم وحواء تحت منبر النبى صلى الله عليه وسلم فتسمع حواء صياح أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتنظر إليهم وتقول يا آدم عصيات من ذريتك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم حسان الوجوه وهم ينادون أين محمد ، فيقوم آدم عليه السلام فيستقبلهم فإذا نظر إليهم قال لهم يا أولادى ، من أى الأمم أنتم فيقول نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقد تبعت كل أمة ما كانت تعبد وقد بقينا فى الشمس والشمس من فوق رؤسنا تطبخنا ووهج النار يحرقنا وقد ثقلت أوزارنا على ظهورنا فاشفع لنا إلى الجبار يحاسبنا فإما الجنة وإما إلى النار فيقول آدم عليه السلام إليكم عنى فإنى مشغول بذنبى أما سمعتم قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى امضوا إلى نوح عليه السلام ، فهو كهل المسلمين وأطولهم عمراً وأحسنهم صبراً فيأتون إلى نوح فإذا هو قائم يسلم عليهم فيقولون يا جدنا نوح اشفع لنا إلى ربك يفصل بيننا ويبعث إلى الجنة من هو أهلها وإلى النار من هو أهلها فيقول لهم ، إنى مشغول بخطيئتى إنى دعوت على قومى فأهلكهم الله وإنى مستحى من ربى امضوا إلى إبراهيم الخليل فاسألوه الشفاعة فيضمضوا إليه فيقول لهم إنى كذبت فى عمرى ثلاث كذبات فى الإسلام وإنى مشغول بخطيئتى إنى خائف من ربى امضوا إلى موسى فاسألوه الشفاعة

فيضمون إليه فيقول إنى خائف مشغول بخطيئتى إنى قتلت نفساً بغير حق ولم يكن باختيارى ولكن وجدته يسطو على رجل مسلم ويريد أن يضربه وأنا خفت أن يؤذيه فوكزته فوقع ميتاً فأنا خائف من المطالبة بذنبه امضوا إلى عيسى عليه السلام فيذهبوا إليه فيقول لهم إن النصارى يقولون إنى قد قلت اتخذونى وأمى إلهين من دون الله وإنى استحى من ربى اليوم أن أسأله أمى مريم لا أسأله إلا نفسى وإذا بمريم وآسية وخديجة وفاطمة عليهن السلام جلوس تحت العرش ، فلما نظرت مريم إلى أمة محمد ﷺ قالت هذه أمة محمد وقد غاب عنهم نبيهم ، فيقع صوت مريم فى سمع النبى ﷺ فيقول آدم أمتك يا محمد دائرة عليك لتشفع لهم إلى الجبار فيرتفع النبى ﷺ على المنبر ويقول إلى أمتى يا من آمنوا بى ولم يرونى ما غبت عنكم إلا وأسأل الله فيكم الشفاعة فتجتمع إليه أمته وإذا المنادى ينادى يا آدم أجب ربك فيقول آدم عليه السلام ، قد دعانى ربى لعله أن يسألنى فينطلق آدم عليه السلام إلى ربه فيقول له يا آدم قم فابعث فى النار من أولادك فيقول إلهى وسيدى ومولاى كيف أبعث ، فيقول له من كل ألف رجلا إلى النار فيبكى آدم عليه السلام ، فيقول الله تعالى يا آدم لولا أنى لعنت الكاذبين وحرمت الكذب لرحمت أولادك جميعاً ولكنى وعدت الجنة بمن أطاعنى والنار بمن عصانى ولا أخلف الميعاد يا آدم امض وقف عند الميزان فمن رجحت حسناته على سيئاته مقدار خردلة خذ بيده وأدخله الجنة بلا مشورتى فإنى جعلت الذنب بى أحد والحسنة بعشر أمثالها لتعلم إنى لى أخلد إلا شارداً متمرداً عاصياً لأمرى متعدياً ، فيقول آدم عليه السلام إلهى وسيدى أنت أولى بالحسنات منى والعباد عبادك وأنت علام الغيوب فينادى منادد يا محمد قدم أمتك إلى الحساب والعبور على الصراط والصراط ممدود على متن جهنم طوله مسيرة خمسمائة عام ومالك قائم على باب جهنم ، وهو ينادى يا محمد من أتى من أمتك ومعه جواز من الله جاز وإلا سقط فى النار يا محمد قل للمخففين

جوزا وقل للمثقلين خطوا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم يا مالك بحق الله عليك حول وجهك عن أمتي حتى يجوزوا وإلا انقطعت قلوبهم من النظر إليك فيحول وجهه عنهم ثم تفترق أمة محمد عشرة فرق ثم يتقدم النبي صلى الله عليه وسلم ويقول اتبعوني يا أمتي فهذا الصراط فتعبر الزمرة الأولى كالبرق الخاطف والثانية كالريح العاصف والثالثة كالخيل المضمرة والرابعة كالطير المسرع والخامسة تغدوا والسادسة تمشي مشياً والسابعة تقوم وتقعد مع الزمرة والثامنة وهم يلهفون من التعب وأوزارهم على ظهورهم والنبي صلى الله عليه وسلم واقف على الصراط وكلما نظر لواحد من أمته تعلق به على الصراط يأخذ بيديه والزمرة الثامنة يسحبون على وجوههم بالسلاسل لكثرة خطاياهم وذنوبهم وهم ينادون يامحمداه والنبي صلى الله عليه وسلم ينادي يارب فتبقى الزمرة التاسعة والعاشرة على المرصاد لا يؤذن لهم بالعبور عند ذلك :

ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجاء مني لعفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فياليت شعري هل أصير لجنة أهنى وأما للسعير فأندما

وقيل : إن على باب الجنة شجرة لها أغصان لا يحصى عددها إلا الله تعالى ، وعليها الأطفال الذين ماتوا في دار الدنيا ابن شهرين أو أقل أو أكثر إلى البلوغ، فإذا نظروا إلى آبائهم وأمهاتهم أقبلوا إليهم فيتلقونهم بالأكراب والأباريق ومناديل السندس والاستبرق فيسقونهم من عطش القيامة ويدخلون معهم الجنة ، ويبقى الذي لم ير أمه ولا أباه فيرفع صوته بالبكاء ويقولون : الجنة علينا حرام حتى آبائنا وأمهاتنا ثم يجتمعون الأطفال الذين لم يروا آباءهم ولا أمهاتهم

ويقولون : بقينا يتامى ما لقينا والدنيا ، فتقول لهم الملائكة : آباءكم وأمهاتكم قد أثقلتهم أوزارهم وقطعتهم عن الجنة ، فيكون بكاء شديداً ويقولون : نقعد على باب الجنة عسى يعفو المولى عنهم ويجمعنا بهم ، هذا وأصحاب الكبائر محبوسون على أول عتبة الصراط يقال لها المرصاد وقد تعلقت بأرجلهم كلاليب الصراط ، ثم يسير النبي ﷺ ومعه الصالحون والسابقون المطيعون خلفه والرايات منشورات بين يديه ولواء الحمد فإذا قرب لواء الحمد من باب الجنة رفع الأطفال أصواتهم بالبكاء فيقول النبي ﷺ سوف أكشف أخبارهم وأشفع فيهم إن شاء الله تعالى ، ثم يدخل النبي ﷺ الجنة وأمته خلفه فيستقر كل قوم فى منازلهم ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبلغنا ذلك من غير سبق عذاب إنه قدير وهاب كريم تواب .

قال بعض الصالحين رضى الله عنهم : رأيت بهلولا وهو راكب على جريدة وهو يبكى ويعدوا إلى المقابر فقلت له إلى أين ؟ قال إلى العرض على الله ثم مضى ساعة ، ثم عاد وهو يبكى فقلت ما يبكيك فقال لما أصابنى عرضت بين يدى ربى فلما عرفنى طردنى :

قد سودت وجهى المعاصى   وأثقلت ظهرى الذنوب
أورثنى ذكرها سقاما   فليس لى فى الورى طبيب
يا شوم نفسى غداة عرضى   إذا أحاطت بى الكروب
هذا كتاب الذنوب فاقرأ   فعندها تشهر العيوب

قال صاحب الحديث : ثم يرفع مالك بصره إلى أصحاب الكبائر على الصراط وكلاليب النار قد تعلقت بهم فتقول الزبانية : ما هؤلاء الأشقياء؟ فيقول

مالك قد ملئت أبواب جهنم الستة وبقيت العالية خالية ، وهو باب أصحاب الكبائر من أمة محمد ﷺ فأمضوا إليهم يا معشر الزبانية فيأتون إليهم ويقولون من أى الأمم أنتم فيقولون نحن أمة القرآن وينسون ذكر محمد ﷺ فتخبر الزبانية مالك فيأمر أن يتعلق كل واحد بواحد من أصحاب الكبائر وينزلونهم من المرصاد إلى طريق جهنم فتأتيهم الزبانية ويقولون لهم مالكم تخلفتم عن نبيكم ولم تجوزوا على الصراط فيقولون نحن أقوام ونهانا ربنا عن أكل الحرام فاكلناه ونهانا عن شرب الخمر فشربناه ، نهانا ربنا عن الزنا فأتيناه ، وأمرنا بالصلاة فقصرنا وفرطنا ولحقوق الله ضيعنا فليس لنا سبيل أن نعبر على الصراط وقد تعلقت كلاليب الصراط بأرجلنا .

قال فتفك الزبانية تلك الكلاليب من أرجلهم ويقولون لهم سيروا معنا فى هذا الطريق فيسيرون مع الزبانية فى صعود وهبوط وحشف وشوك وحر ووهج ودخان فيقولون يا ويلنا ما أصعب هذه الطريق وما أوحشها يا ترى إلى أين تؤدى هذه الطريق فتقول لهم يا مساكين يا أشقياء هذه الطريق طريق جهنم فإذا سمعوا ذلك من الزبانية قعدوا فيتعلق بهم الزبانية يجرونهم فإذا جروهم صاحوا واويلاه واحزناه دعونا نستريح فقد بلغ هذا التعب والقيام على المرصاد فإذا بالنداء من العلا معشر الزبانية قفوا بالعصاة من أمة محمد فإذا أرادوا القعود فاقعدوا معهم فسوف تلحمهم جهنم فيمضون ساعة ويقعدون ساعة وتجرهم الزبانية فاذا وصلوا إلى باب النار وجدوه باباً من حديد أسود شراريفه تقطع من لهاليب النيران أرضها رصاص يغلى وسقفها نحاس حيطانها حجارة الكبريت ومالك جالس على سرير من نار وهو عظيم الخلقة هائل الصورة لو أشرف مالك على أهل الدنيا لماتوا فزعاً من صورته له صوت كالرعد القاصف فينظر إليهم مالك ويقول لهم يا معشر

الأشقياء من أى الأمم أنتم فيقولون نحن من أمة القرآن فيقول لهم مالك ويلكم أماكان فى القرآن آية تنهاكم عن معصية الله تعالى فيقولون ، بلى : ولكن غلبت علينا شقوتنا سمعنا وخالفنا وعصينا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال فعند ذلك يأتى إلى مالك كتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من الله العزيز الحكيم إلى مالك خازن النار قد ورد عليك عصاة من أمة من أصحاب الكبائر لخذهم ولا تسود وجوههم فقد كانوا يبسطوها إلى بالدعاء ولا تقيد أرجلهم فإنها كانت تمشى إلى المساجد ولا تسقيهم الحميم فإنهم كانوا يصومون شهر رمضان ، وأمرهم أن يطؤا النار بأقدامهم فيقول لهم مالك أدخلوا النار بأقدامكم ، فيقولون يا مالك دعنا نبكى على أنفسنا قبل الوصول إلى النار فيقول لهم مالك ابكوا إن كان البكاء ينفعكم ، قال : فيبكون فيقول : مالك ما أحسن هذا البكاء لو كان فى طاعة الله فى دارنا الدنيا ما مستكم النار أبداً وإذا بالنداء يا مالك لا تعاتب الأشقياء وأدخلهم النار فلا عذر لهم فيفترقون ثلاث فرق الشباب ناحية ، والشيوخ ناحية ، والنساء ناحية ، فيدفعهم مالك إلى النار دفعة واحدة فيجدونها تأكل بعضها بعضاً فيرجعون هاربين فينادى الشباب واشباباه وتنادى الشيوخ واشيبتاه وتنادى النساء وأضعف بدناه وأمتك ستراه وأويلاه واحسرتاه ، قال فيخرج من جهنم لسان من نار يلقفهم فيغضون أبصارهم أجمعين والنار توبخهم وتقول لهم ، يا فلان يا بن فلانة أعرفكم كما تعرف الأم أولادها ما ضيعتم فريضة من فرائض الله تعالى إلى كتب اسمكم على مقامعى وأغلالى ، فيتصارخون بالبكاء والعويل فيقوى عليهم لهبها وزفيرها فيقولون نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله فتنزجر عنهم النار ونقول إن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ضعفاء لا يصبرون عذابى وعقابى .

ملك وقوفك يوم الحشر عرياناً مستضعفاً فارغ الأحشاء حيرانا
والنار تزفر من غيظ ومن غضب على العصاة وتلقى الرب غضبانا
فى موقف قد تجلى فى حاكمه وقال فيه لمن قد باح طغيانا
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل وانظر إليه ترى هل كان ماكان
لما قرأت كتاباً لا يغــادره حرف وماكان فى الأسرار إعلانا
قال الجليل خذوه يا ملائكتى مدوا به الأليم النــار ظمآنا
يا رب لا تحشرنا معهم يوم الحساب غدا
وأنلنــا منـــك يا مولاى غفرانا

قال : فإذا النداء من الجبار جل جلاله يا نار انضجى يا نار احرقى يا نار اشتقى يا نار كلى ، ثم يقول الله سبحانه وتعالى : يا مالك دع النار تقصدهم فهى أعرف بهم من الوالدة بولدها تعرف لكل واحد منهم ما يستحقه من النار والعذاب ، فتحمل النار عليهم فمنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه النار إلى سرته ، ومنهم من تأخذه النار إلى صدره ومنهم من تأخذه النار إلى وجهه ، فيقول الله تعالى ، يا نار كفى عن وجوه سجدت فليس لك على موضع السجود سبيل فتوقد عليهم وهم فيها جاثون على الركب ، فإذا اشتعلت النار عليهم ونضجت منهم الجلود وتقطعت منهم العروق ، وانقطعت أصواتهم وخمدت من شدة العذاب ، فيقول الجليل جل جلاله يا مالك لا أسمع أصوات أهل النار وهو أعلم بهم فيقول لك إلهى وسيدى ومولاى قد أكلت النار لحومهم وقطعت عروقهم ، ونضجت أجسامهم وبقيت أرواحهم بين النيران فيقول الملك الجبار ، يا مالك جدد العذاب على الكفار ، فيصيح مالك بالنار فتقطع أجوافهم ويسمع صراخهم من ضرب المقامع والحديد ،

فعند ذلك تفزع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويهربون بين أطباق النيران ويقولون : يامالك أتريد أن تجدد علينا العذاب فيقول لهم مالك: إنى أمرت فيكم بشىء فيقولون: أما ترحمنا فيقول أرحمكم وأرحم الراحمين غضبان عليكم فينادون يا أرحم الراحمين ارحمنا نضجت جلونا وتقطعت منا العروق وعميت منا الأبصار واسودت العظام يا أرحم الراحمين ارحمنا : فيقول لهم مالك وأين كلمة الإخلاص استغيثوا إلى الله تعالى بها فيضجون بأجمعهم نشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن سيدنا محمداً رسول الله فترفعهم ضجتهم إلى الله تعالى فتسمع فاطمة الزهراء رضى الله عنها أصوات الأشقياء من أمة محمد بالشهادة فتقول انى أسمع أصوات أمة أبى بين النيران فيسمع جبريل قولها فيقول لا أعلم فينادى الحق جل جلاله يا جبريل قد ارتفعت لى ضجة العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم بكلمة التوحيد فأمر مالك خازن النار أن يخفف عنهم العقاب .

قال : فيأتى جبريل عليه السلام إلى مالك ويقول له : يا مالك الحق عز وجل يقول لك افتح عن أمة محمد باب النار وخفف عنهم العذاب قال فليفتح الباب فينظر جبريل عليه السلام ويبكى على حالهم فيقولون له من أنت أيها الملك الرحيم القلب فإنا ما رأينا منذ خرجنا من قبورنا أحداً يرحمنا غيرك فيقول السلام عليكم يا أمة محمد أنا الروح الأمين جبريل الذى كنت أنزل على نبيكم محمداً صلى الله عليه وسلم فيقولون وعليك السلام يا حبيبنا يا جبريل أما ترى ما صنعت النار بنا فيقول أن محمداً لا يعلم بكم ولا ببكائكم ولا بمكانتكم فهل لكم إليه من حاجة أو رسالة فيقولون إذا رأيت حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم فاقرئه منا السلام وقل له إن خلقاً كثيراً من أمتك يعذبون بين أطباق النيران فى مجاورة الكفار وما يكفينا ذلك حتى

يعايروننا من تحتنا ويقولون ما ترى نفعكم الإسلام بل صرنا وإياكم سواء فى النار .

قال فيأتى جبريل عليه السلام حتى يقف بين يدى الله تعالى عز وجل فيقول يا جبريل ما قال لك الأشقياء وهو أعلم بهم فيقول حملونى رسالة إلى نبيهم وهى كذا وكذا وأنت أعلم يا رب فيقول الله تعالى يا جبريل بلغ عنهم رسالتهم فيأتى جبريل عليه السلام فيقف على شراريف الجنة والنبى صلى الله عليه وسلم جالس بالوسيلة وهى قصر من درة بيضاء وبيده الكأس وعلى رأسه تاج الكرامة وعن يمينه آدم ونوح وإبراهيم وعن يساره صالح وشعيب ويوسف ويعقوب والأنبياء بين يديه وداود عليه السلام يقرأ الزابور والمؤمنون خلفه وحوله وهم فى فرح وسرور ويضحكون فيأتى جبريل عليه السلام وهو يبكى لما رأى من عذاب أصحاب الكبائر فيقول السلام عليك يا محمد فيقول له النبى صلى الله عليه وسلم وعليك السلام يا جبريل فيقول جبريل يا محمد إدن منى لأضع جناحى على فؤادك حتى لا ترجف فيضع جبريل جناحه على فؤاده ويقول يا محمد أنت من الجنة متلذذ وعصاة من أمتك يعذبون فى النار وهم يقرءونك السلام ويقولون كذا وكذا فيقوم النبى صلى الله عليه وسلم ويقلع التاج عن رأسه ويضع الكأس من يده وينادى معشر الأنبياء أدركونى فعند ذلك يتقدم البراق فيقول صلى الله عليه وسلم ، ما أصنع بالبراق وأمتى بين أطباق النيران يعذبون ثم ينادى المنادى يا معشر الأولياء اركبوا مع النبى صلى الله عليه ، فيخرجون خلفه فيقول الرب جل جلاله يا محمد ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ليس هذا وقت عبادة وسجود ، هذا وقت شفاعة وقبول ، فيقول النبى صلى الله عليه وسلم ، يا رب أمتى إنك وعدتنى أن تجيرنى فى أمتى .

فيقول الله تعالى ، يا محمد إنهم أقوام أمرتهم فعصونى ونهيتهم فخالفونى ولم يتطهروا من الذنوب ولا من الحرام بالتوبة فى دار الدنيا فطهرتهم بالنار وأنى قد شفعتك فيهم اليوم .

إذا رضى الحبيب فلا أبالى — وجاد بالروح فى طلب الوصال
وقال قد طاب وقتى يا حبيبى — فما للعاذلين ترى ومالى

فيقول الله تعالى ، يا جبريل امض مع محمد إلى مالك خازن النار فمن كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه فيمضى النبى صلى الله عليه وسلم وجبريل ومن معه من الأنبياء والأولياء خلفه حتى إلى مالك خازن النار فيقول له جبريل ، قف مكانك يا محمد ، فإنك لا تستطيع أن تنظر إلى إلى أمتك فى النار فيقول النبى صلى الله عليه وسلم دعنى يا جبريل أنظر إليهم وأنظر ما صنعت النار بأمتى .

قال فيسير النبى ﷺ فيتلقونه أولاد الأشقياء فيبكون ويتمازرون بين يديه ويقولون يارسول الله ، تركت آباءنا وأمهاتنا فى النار فيقول النبى صلى الله عليه وسلم اليوم يجمع شملكم بهم إن شاء الله تعالى ، ثم يقبل مسرعا نحو مالك إلى محمد صلى الله عليه وسلم حول وجهه عنه فيقول مالك ، يا محمد لا تلمنى فأنا عبد مأمور .

فيقول النبى صلى الله عليه وسلم يا مالك صف لى حال أمتى قال كيف أصف حال أقوام أكلت النار لحومهم واسودت عظامهم ومزقت جلودهم فيقول افتح لى الطباق عنهم فيدنو النبى ﷺ وينظر إلى باب جهنم فيقول له مالك : يامحمد حرمت عليك النار فيقول النبى ﷺ يا جبريل: أريد أن أنظر إلى متى فيمد جبريل جناحه فيقف النبى صلى الله عليه وسلم فوق جناحه وينظر إلى أمته ، فإذا هم فحم فينادى واأمتاه يعز على ما وقع لكم من العذاب فإذا نظروا إليه تباكوا وينادون

بعضم لبعض إلهنا اعف عنا لننظر وجه نبينا فيقول النبي ﷺ اخرجهم يا مالك فيخرجهم ضبائر الفحم فينظر الرجل إلى ولده ويقول له ، يا ولدى أسقنى فيقول الولد اذهب عنى ، فلست أنت أبى إن أبى كان حسن الوجه ، فيقول له يا ولدى أنا أبوك ولكن النار غيرت أحوالى وسودتها ، وتقول الأم لولدها اسقنى فيقول لها ، اذهبى عنى فإن أمى كانت حسنة الوجه ، فتقول أنا أمك ولكن النار غيرت وجهى وأحوالى فيفزعون منهم . وإذا النداء من العلى يا جبريل ألقهم فى بحر الحياة فيجرى عليهم ، فتبيض عظامهم وتنبت لحومهم وجلودهم وشعورهم .

ففى ذلك الوقت يعرفونهم أولادهم فيعلقرن بهم ويطلعون من النهر على حسن يوسف وطول آدم وسن إدريس مكتوب على جباههم هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن من النار ، ثم تخرج إليهم الملائكة خلعاً من الجنة فيلبسونهم ، ثم يأخذهم ﷺ ويوقفهم بين يدى الله عز وجل فيسجدون بين يدى الله تعالى فيقول لهم ، الرب جل جلاله يا عبادى كيف رأيتم النار فيقولون ياربنا بئس الدار وبئس القرار فيقول الله تعالى يا عبادى ادخلوا الجنة صحبه النبي صلى الله عليه وسلم .

نالو بذلك فرحة وسرور   وسعوا فأصبح سعيهم مشكورا
قوم أقاموا للاله نفوسهم   فكسى وجوههم الوسيعة نورا

اللهم إنا نسألك بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيك ورسولك أن تمن علينا بالنظر إلى وجهه الكريم وأن تشفعه فينا بفضلك العميم وأن تميتنا على سنته وأن تحشرنا فى زمرته بحق الأنبياء والمرسلين آمين دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

﴿ خاتمـــة ﴾

فى صفة أهل الجنة ، جعلنا الله من أهلها

قال رحمه الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذى جعل الجنة دار المتقين ، وأن أهل الجنة متنعمون ومتحفون على سرر متقابلين ، فهنيئاً لهم على ما أعطاهم الله من الكرامات وسبق لهم من العنايات ، فيها خيام من لؤلؤ وخيام من جوهر ، وخيام من در ، وكل خيمة مسيرة خمسمائة عام ، وفيها مدن من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ وجوهر كل مدينة مثل الدنيا وما فيها من شرقها وغربها .

قال صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى شجرة ورقها كثير وهى مختلفة الألوان يكاد حسن ألوانها يذهب الأبصار ، وثمرها أحلى من العسل وأزكى رائحة من المسك ، وإذا فى الجنة صحارى وسرارى ، وفيها كثبان من مسك وعنبر وفيها مراعى وخصب لم يرى الراءون مثله أبداً .

وقال إذا هناك خيل ترعى فى تلك الرياض مختلفة الألوان . فلما رفعت رأسها نظرت إلى ونفرت منى ، وأجابت بعضها بعضاً بالتهليل والصهيل كنزلة الأجرا من أحسن صورة رأيتها وسمعتها .

قال صلى الله عليه وسلم فنظرت إليها ، وهى سائرة بحوافرها غبار مسك ساطع فارتفع إلى سور الجنة وحيطانها .

قال صلى الله عليه وسلم فنظرت إلى حسن ألوانها شعرة حمراء وشعرة شقراء

وشعرة زرقاء وشعرة خضراء وشعرة بيضـــاء وفيهـا من جميع الألوان التى لا تحصى .

قال وإذا فى صحاريها طيور وظبى ووحوش ، ومن كل الأصناف التى لا تحصى. قال صلى الله عليه وسلم ، ورأيت فى الجنة جميع الوحوش إلا القردة والخنازير .

قال صلى الله عليه وسلم : وصرت أنظر إلى ما خلق الله لأوليائه وأهل طاعته ، ونظرت إلى الطير واختلاف ألوانها تعلو غرفاً وقصوراً وتسبح بحسن أصواتها وإذا طار الطير منها يوجد فيه ريح عطر مسيرة خمسمائة عام .

قال صلى الله عليه وسلم : ورأيت فيها الأنهار تجرى من تحت العرش فلا تبطن الظواهر . ولا تبدى البواطن .

قال صلى الله عليه وسلم : فمضيت ومعى جبريل ، فأشرفنا على نهر يقال له نهر الحيوان عرضه خمسمائة عام ، وطوله ألف عام حافته من الدر والجوهر والمرجان وخيام اللؤلؤ والزبرجد وفى تلك الخيام الحور العين وتنبت أبدانهن من النور حتى إذا تم خلق الحوراء ، أخرج نهدها من المسك فإذا تم خلقها كان ذلك من نور أخضر . ويعلوها جمال وبهاء . ويقال لها أنت لفلان ابن فلانة خلقت له وخلق لك . فإذا تكلمت ناولها الملك الموكل بها الحلى والحلل والتاج والإكليل . فتلبس وتخرج تحت القبة فيبقى نورها ونور وجهها أمامها خمسمائة عام ثم تنفض شعورها . ويمضى ريحها من ناحية الجنة ، ثم يكلل جوانبها بالياقوت والجوهر ويحلى كل عضو منها بالذهب والفضة . وأول كلمة تتكلم بها قد أفلح المؤمنون طوبى لمن رضى الله عنه وكان لنا وكنا له .

قال فإذا تكلمت دنا منها الملك فيقول لها من أى إقليم تكونى ومع أى قهرمان . وفى أى مدينة ؟ فتقول من إقليم كذا وعند الملك الفلانى قال فيبعث بالحوراء إلى ملكها وقصورها ويؤمر لها بخدمها وولدانها وحليها وحللها وفراشها .

قال رسول الله : وهل تعرف الحوراء زوجها وهى خلقت له ؟

قال صلى الله عليه وسلم : كل من فى الجنة يعلمون الغيب بإذن الله عز وجل وليس يعلم الغيب إلا الله وإن الحور يعلمون لمن خلقن له وأن عبيداً أعرف بكم من عبيدكم فى الدنيا ، وأن المؤمن ليستقبله جميع من ملكه كما يستقبل أحدكم جميع من فى داره إذا أتى من سفره فيستقبله جميع ما أعده الله من مهادنة وخدمه وأزواجه وجميع حيواناته ووحشه وطيوره حتى شجره ، وإنه ينظر إلى الشجرة وفيها الثمر فيريدها ، ولا يتكلم بل يقول فى نفسه ليست هذه عندى ولا ملكى فيأتى إليه ذلك الغصن بتلك الثمرة ، فيقول شأنك يا ولى الله ، فيقول المؤمن من أعلمك أنى كنت أريدك ؟ فيقول الذى رضى لى جوارك أعلمنى بغيب ما فى نفسك وذلك قوله تعالى : وذللت قطوفها تذليلا ، لأنها تأتيها بغير مسألة .

قال وإن المؤمن إذا أكل من الشجرة ثمرة فى فيه وهى على ما كانت عليه من اللون والطعم تحول فى الوقت والساعة على الطعم الذى اشتهاه وأرادته نفسه فيقول للشجرة التى ناولته الثمرة من أعلمك أنى أردت هذه الصفة التى تحولت فيها ثمرة فى فمى فتقول الذى رضى لنا جوارك هو الذى علمنا غيب نفسك .

قال وإن المؤمن ينظر إلى الطير فى الجنه طائراً يشتهيه منضجاً ، وطائراً يشتهيه

منضوجاً فيأتيه على ما يريد فيأكل منها حاجته ، ثم يطير الطائر بين يديه كما كان أول مرة فيقول له من أعلمك بالذى خطر فى قلبى ؟ فيقول الذى رضا لنا جوارك أعلمنا بغيب ما فى نفسك .

قال صلى الله عليه وسلم : وإن من أهل الجنة من ينظر إلى أزواجه وما فى ملكه وخدمه وغلمانه مسيرة ألف سنة، يرى أقصاها كما يرى أدناها ، وينظر إلى قصوره، وإن أفضل أهل الجنة منزلة من يرى ربه فى كل يوم مرتين ، وإن للرجل فى الجنة كل يوم مائة عذراء من الحور العين وإذا اشتهى أحدهم الولد كان حمله وفصاله وإرضاعه وسنه فى ساعة واحدة كما يشتهيه وإن أهل الجنة يلهمون التحميد والتهليل والتسبيح والتقديس لا يفترون ومن الأكل لا يملون ولا يتعبون وطعامهم وشرابهم يخرج من أبدانهم رشحا كرائحة المسك الأذفر .

وقال صلى الله عليه وسلم : ورأيت الجنان كلهم وهم ثمان . جنة الفردوس وجنة النعيم ، وجنة الخلد ، وجنة عدن ، ودار السلام ، ودار الجلال ، ودار التقى ، وفى كل جنة من هذه الجنان من البساتين عدد نجوم السماء .

وقال صلى الله عليه وسلم : وعرض على جبريل قصور أصحابى قصراً قصراً فصار يقول لهذا قصر فلان وهذا قصر فلان إلى آخرهم ، وعرض على نهر الكوثر الذى أعطانيه الله عز وجل وقدره ما بين السماء والأرض ، وهو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، وأزكى رائحة من الأذفر والكافور والعنبر ، حافته من الدر ورضائه اللؤلؤ وحصباؤه الياقوت ، وعليه من الأوانى والأكواب عدد نجوم السماء ، وهى كيزان من الفضة ، فقال جبريل هنيئاً لك يا محمد ما أعطاك ، وهنيئاً بشفاعتك لهم وشربهم من حوضك .

قال صلى الله عليه وسلم : رأيت على شاطئيه خيام من در وخيام من مرجان وخيام من عقيق ، وعلى حافته من الحور العين ما لم يعلم عددهن إلا الله تعالى ، وعليهن الحلى والحلل وعلى رءوسهن التيجان ، وسمعتهن يقلن بأصواتهن نحن الناعمات فلا نبأس أبداً ، ونحن المشتهيات فلا يمل منا أبداً ، ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً ، ونحن الشابات فلا نهرم أبدا ، فطوبى لمن كنا له وكان لنا وقال بعضهم : إذا كان يوم القيامة نساق أهل الجنة إلى الجنة .

ويقول الله تعالى : يا رضوان لا تنزلهم أنت إلى الجنة ، ولا تدعهم ينزلون أنفسهم فلو نزلوا بأنفسهم نزلوا كما تنزل الغرباء ، وإذا أنزلتهم أنت ينزلون كما تنزل العبيد ، بل دعهم لأنزلهم أنا فى أماكنهم لتعلوا كرامتهم على فإذا أتوا إلى باب الجنة سلمت عليهم الملائكة ، كما قال الله تعالى : (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) .

وقد جاء فى الخبر أن أهل الجنة يدخلون الجنة على قامة آدم عليه السلام ستين ذراعاً وعلى سن عيسى بن مريم ثلاث وثلاثين سنة ، وعلى حسن يوسف عليه السلام .

وقال أبو محمد الرازى : إذا كان يوم القيامة وأدخلت أهل الجنة الجنة ، فى يوم السبت الأولاد تزور الآباء ، ويوم الأحد تزور الآباء الأولاد ، ويوم الإثنين تزور التلاميذ العلماء ، ويوم الثلاثاء تزور العلماء التلاميذ ، ويوم الأربعاء تزور الأولياء الأنبياء ، ويوم الخميس زيارة الشهداء ويوم الجمعة تزور الخلائق الرب جل وعلا .

وقال صلى الله عليه وسلم ينادى منادى يوم القيامة من تحت العرش أين الذين

كانوا ينزهون أسماعهم من اللهو والمزامير والغناء واللعب ، اليوم أسمعهم حمدى وثنائى وأخبرهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

قال الله تعالى : (وما كانت صلاتهم عند البيت إلا مكاءاً وتصدية) إلى آخر الآية .

قال المفسرون المكاء النشابة والتصدية التصفيق والغناء وكان فى الجاهلية يغنون ويصفقون بالنشابات فى الحرم إذا كان يوم عيدهم ، فسبهم الله تعالى وذمهم ولعنهم ووعدهم على ذلك العذاب الأليم المقيم .

وقال صلى الله عليه وسلم : الزامر ملعون والمستمع فمن سمع المطربات فى الدنيا بلذة لم يسمع مطربات الجنة إلا أن يتوب ويرجع عن فعله ، وقال وإن صوت داود عليه السلام يعدل ستمائة مزمار وهو المقرىء وقت مشاهدة الحق سبحانه وتعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) .

وقال صلى الله عليه وسلم : إذا كان وقت صلاة الصبح يأتى ملك يدق باب القصر فيقول الخادم : من الطارق ؟ فيقول ملك من عند الله تعالى ، جئت إلى سيدكم وسيدتكم بهديه صلاة الصبح فى الدنيا ، فيفتح الخادم الباب فيدخل الملك ويقول السلام يقرئكم السلام ، ويقول لكم جل وعلا كنتم فى الدنيا ترفعون أصواتكم فأقبلها ولا أرد لكم جزاء وهذه الهدية جزاء صلاة الصبح فيحط أطباقاً من ذهب ، عليها سبعون زبدية عشرة من ذهب وعشرة من فضة ، وعشرة من ياقوت وعشرة من زمرد وعشرة من در وعشرة من مرجان ، وعشرة من

العقيق فى كل زبدية لون من الطعام لا يشبه الآخر ، وعلى الطعام خبز أبيض مثل الثلج ، وأحلى من الشهد بجللة بمناديل من السندس الأخضر .

ويدخل ملك آخر ومعه أطبقة من الذهب ، وفيها فواكه من السندس الأخضر .

ويدخل ملك آخر ومعه أطبقة من الذهب ، وفيها فواكه من الحق جل جلاله من الجنة .

ويدخل ملك آخر ومعه بقجة فيها من أنواع الحلل وألوانها أشياء كثيرة مطرزة بالذهب ، فتقول الحلل يا ولى الله ، أنظر إلى هذه الحلل أتعجبك صفاتها ؟ وإلا انقلبت على الشكل الذى تريده .

ثم يدخل ملك آخر ومعه أصناف من حلى الدنيا وهى تتشخشخ ، وحلى الآخر تسبح الله تعالى تسبيحاً يطرب السامعون منها ، فيسجد المؤمن شكراً لله تعالى عز وجل ، ثم تسلم عليه الملائكة الذين جاءوا بالهدايات ، فإذا كانت وقت الظهر جاءوا بهدية صلاة الظهر ، وكذلك العصر والمغرب والعشاء .

قال فيجمع المؤمن الأطباق والأوانى ، ويدفعها إلى صاحب الهدية المقبلة ، فيقول هذه الهدية من عند الغنى الكريم الذى لا ينقص ملكه ولا تفنى خزائنه الذى يقول للشىء كن فيكون .

وهذه الأوانى التى فيها الهدية لكم فإنكم كنتم فى الدنيا ترفعون إلى الله عز وجل خمس صلوات فلكل خمس هدايات ، ومن زاد على الفرائض مثل النفل وصلاة الضحى والغفلة وما أشبه ذلك زدناه بقدر ما عمل .

وقال بعضهم يا رسول الله إن فى الجنة ليلا ونهاراً قال ليس فى الجنة ظلمة ، وإن أهلها فى نور العرس ونور العرش يتلألأ وهو مخلوق من نور أبيض ، ومن نور اخضر ومن نور أحمر وأصفر فمن نور العرش أصنفة الألوان كلها جميعاً الأخضر والأحمر والأصفر والأبيض فى الدنيا والآخرة .

ولو أظهر الله قدر خردلة من نور العرش لأضاء مشرقاً ومغرباً وإن أهل الجنة من نور العرش ليلا ونهاراً ، ولكن علامة الليل فى الجنة أن ترد ابواب القصور وترخى الستور ويخلون مع الحور العين .

ومنهم من يختلى بمشاهدة العزيز الغفور ، فإذا كان وقت طلوع الفجر تفتح أبواب القصور وترتفع الستور وتسلم عليهم الملائكة وتأتيهم بالهدايات من الحق جلا وعلا ويزورون إخوانهم فى الله تعالى ، وأقاربهم وأولادهم الذين دخلوا الجنة وإذا أراد المؤمن زيارة صاحبه فيمشى به إلى السرير الذى هو جالس عليه أسرع من البرق الخاطف .

وإذا اشتاق الأخوان بعضهم إلى بعضى مشت بهم سررهم فيلتقون فى ميادين الجنة ، وبساتينها فيتحدثون ويتفرجون ويمشون فى تلك البساتين ، فإذا خطر لهم الرجوع رجع كل واحد منهم إلى منزله ومكانه .

قال ولكل قصر غرفة مشرقة ، ولكل غرفة سبعون باباً مرصعين بالذهب على كل باب شجرة ساقها من المرجان الأحمر ، فيها سبعون ألف غصن يحمل ألف لؤلؤة بعضها قدر بيضة الدجاجة وبعضها أصغر من ذلك ، فإذا أرادوا قطعوا من الصغار فلا يقطعون لؤلؤة إلا ونبت مكانها لؤلؤتان ، وفيها شجرة تحمل ياقوتاً

فهما أرادوا أخذوا وفوق تلك الأشجار طيور خضر كل طير قدر الناقة يسبحون الله عز وجل على تلك الأشجار ، فيقول الطير : يا ولى الله ، أكلت من أثمار الجنة وشربت من أنهارها ، فكل منى فيقع ذلك الطير على الموائد بقدرة الله تعالى ، بعضه مشوياً وبعضه مقلياً منضج بسائر الأنواع، فيأكل منه المؤمن والمؤمنة والحور إلى أن يبقى عظامه فيعود كما كان ويطير بإذن الله تعالى قال ، وكذلك الحلى والحلل تشتاق لأوليائه حتى يلبسونها .

قال والقصور والحجر قطعة واحدة ليس فيها صناعة إلا بأمر من يقول للشيء كن فيكون ، فإذا قال : أكلوا يقول الله سبحانه وتعالى مرحباً بعبادى وأهل طاعتى يا ملائكتى اسقوهم فتتقدم لهم الملائكة أقداح من الذهب كل قدح مكلل بسبعين ألف لؤلؤة أقداح من البلور مكلل بالدر والياقوت فى كل قدح لون من الشراب ، ومن الماء فيشربون الماء ثم يدار عليهم الشراب الطهور حتى يكتفى به .

قال الله تعالى : وسقاهم ربهم شراباً طهورا .

قال : فيقول : القدح يا ولى الله ، شبعت منى شراباً اشرب منى لبناً ، فيشرب منه لبناً .

فيقول القدح : شربت منى لبناً اشرب منى خمراً فيشرب منه خمراً حتى يكتفى.

فيقول له شربت منى خمراً اشرب منى عسلا فيشرب منه عسلا حتى يكتفى .

ثم تقول الملائكة قد أمرنا ربنا نسقيكم من الشراب بعد الأقداح سبعون لوناً كل لون ألذ من الآخر ، فإذا اكتفوا يقول الله تعالى : مرحباً بعبادى وأهل طاعتى ومودتى ومحبتى ، يا ملائكتى اكسوهم فتتناولهم الملائكة خلعاً من ألوان

الذهب مختلفة الأنوار مصقولة بنور الرحمن ، ولولا أن الله يحفظ أبصارهم لاختطفت من نور الخلع فيلبس كل واحد منهم خلعة .

ثم يقول الله سبحانه وتعالى ، مرحباً بعبادى وأهل طاعتى يا ملائكتى حلوهم فتقدم لهم الملائكة الحلى والتيجان والعقود والخواتم الذهب ، فيعطى كل إنسان عشرة خواتم منقوش على فصوصها بالنور يا عبادى أنا عنكم راض .

وعلى خاتم السبابة أنتم لى وأنا لكم وعلى فص الوسطى لا براح لكم من جوارى .

وعلى خاتم البنصر تلذذوا بقربى فى دار قرارى .

وعلى خاتم الخنصر زرعتم فى الدنيا وحصدتم فى الآخرة .

وعلى السادس طال ما سجدتم لى والناس نائمون أى غافلون .

وعلى الفص السابع اليوم أمنحكم مشاهدتى .

وعلى الثامن لمثل هذا فليعمل العاملون .

وعلى الفص التاسع سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

وعلى الفص العاشر سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين .

فيلبس جبريل عليه السلام كل رجل منهم أو امرأة عشرة خواتم وثلاثة أساور واحدة من ذهب ، وواحدة من فضة وواحدة من لؤلؤ مكتوب على كل سوار بالنور الأخضر ، إنى أنا الله لا إله إلا أنا فارفعوا حوائجكم ، لا حاجب ولا وزير ولا مشير يا عبادى طبتم ، فادخلوها خالدين وتوضع على رءوسهم

تيجان الكرامة وليس لتيجان الجنة ثقل كلى الدنيا ، وهى تسبح الله عز وجل بأصوات حسان تطرب السامعين .

قال ويأتى رضوان عليه السلام فيحلى على كل ولى من الأولياء فى كل قبة عروسا من الحلى ، والحلل بألوان كثيرة يعجز عن وصفها الواصفون ، فتقول الحوراء طال شوقى إليك والحمد لله الذى جمع بينى وبينك ، فيقول المؤمن من أين تعرفينى وما رأيتينى قبل هذا اليوم فتقول إن الله سبحانه وتعالى خلقنى لك وكتب إسمك على إسمى ونقشه على صدرى وخلق هذه المنازل لك ، وكتب على بابها اسمك وخلق الغلمان والحور لك ، وكتب اسمك على خدودهن أحسن من الشامة لأنك أتعبت نفسك فى الدنيا بصوم النهار وقيام الليل .

ثم أمر الله رضوان أن يحملنا على جناحه ويقولى لنا : هذا سيدك فرأيناك وعرفناك فكلما اشتقنا إليك تخرج من الجنة ، فيقول لنا رضوان أدخلن الجنة ، فنقول لا ندخل حتى نرى سادتنا فيحملنا رضوان إلى الدنيا فتنظر كل حوراء سيدها وهو لا يعلم ، فإذا وجدته يصلى فى ظلام الليل تفرح وتقول اخدم تخدم وازرع تحصد ، يا سيدى رفع الله درجتك وتقبل طاعتك وجمع بينى وبينك بعد عمر طويل يفنى فى خدمة المولى الجليل ونبل أشواقنا منكم ونرجع لمنازلنا ، وأنتم فى الدنيا لا تعلمون .

وما من مؤمن فى الدنيا إلا وله غلمان وحور يأتون يزورونه وهو لا يعلم ، إذا وجدوه فى الخدمة فرحوا وإذا وجدوه فى الغفلة أى غافلا عن طاعة الله حزنوا عليه ، فإذا رجعوا تقول الحورية لصاحبتها أى شىء وجدتى سيدك يعمل فتقول وجدته يصلى ويبكى ويتضرع إلى الله سبحانه وتعالى .

وتقول الأخرى : وأنت وجدت سيدى كثير المجاهدة فى سبيل الله .

وتقول الأخرى : وجدت سيدى كثير الغفلة فتقول لها إحداهن أى الحور عسى تصيرى ميراثاً لسيدك حاشى سيدى من القطيعة لا فرق بينى وبينه ولا يجعله من المحرومين .

قال فإن تمادى العبد عن طاعة الله وانقلب إلى المعصية محى اسمه من القصور ، ومن على صدور الحور ويتوارث أهل الجنة منازله وخدمه فإن تاب وداوم على طاعة الله تعالى وصل للنعيم المقيم ، فيا نعم من لازم الباب وجد المتاب وتضرع فى الدياجى إلى العزيز الغفار لعله ينقذه من عذاب النار ، وأن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر جعلنا الله وإياكم من أهلها من غير سابقة عذاب إنه كريم وهاب ، دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة يوم الأربعاء المبارك ٧ محرم سنة ١٢٥٦ ستة وخمسين ومائتين وألف ، على يد الفقير إلى ربه القدير أحمد بن حسن مرتضى الحنفى الخلوتى الشاذلى غفر الله له ولوالديه ، ومن نظر فى هذا الكتاب دعا لهم بالمغفرة من المسلمين . آمين آمين والحمد لله رب العالمين .

الفهرست

مطبعة النجاح الجديدة
محمد محمد عبد الرحمن السنوسى
٥ حارة الجامع بحارة اليهود بالموسكى